

تاريخ ما أهمله التاريخ

عصر الاقدسين



الكتاب الماسي

تاريخ ما أهمله التاريخ
عصر الأقدمين

حبيب حمامي

إهداء

الى ارواح العلماء الباحثين ، سواء اكانوا من
العرب الاقربين ، ام من الاغراب الابعدين ، الذين
اكبوا على التاريخ الذى ليس له بين تواريخ الامم
فى الشرق والغرب مثيل : تاريخ مصر الفارق فى
القدم ، وتيلها المبارك ، وشعبها العريق
يستظلون خفاياه ، ويفكون رموزه ، ويستجلون
غوامضه ، ويساهم كل منهم فى مجال اختصاصه،
فى ترتيب احقابه ، وتنسيق وقائعه ، اهدى
هذه الحفنة من الافاصيص ، التى تمتزج فيها
الحقيقة بالخيال ، تحية متواضعة للذكارهم ،
واعترافا بجميلهم ، واقرا را بفضلهم ، فى تدوين
اصيخهم مصنف لاقدم مدنية عرفها البشر !

تصدير

يجد القارئ في هذا الكتاب مجموعة أخرى من الأقايصيص المستخلصة من « هوامش » التاريخ . فالتاريخ سلسلة متواصلة الحلقات من الأقايصيص ، فيها الفواجع ، وفيها المآسي ، وفيها المهازيل . والإنسان اليوم هو الإنسان بالأمس ، فضائله هي هي ، وعيوبه هي هي ، والعبر التي نستمدّها من وقائع التاريخ لا تقل في روعتها من العبر التي نستمدّها من حوادث الحياة اليومية في مجتمعنا المعاصر

فهذه الأقايصيص ، كما قلت في مقدمات سابقة ، فيها تسلية ، وفيها درس !

وقد أصدرت « الدار القومية للطباعة والنشر » حتى الآن ، في « الكتاب الماسي » خمس حلقات من سلسلة الأقايصيص التي جعلت لها عنواناً شاملاً : « تاريخ ما أهمله التاريخ » . والحلقات التي صدرت من قبل ، هي :

- ١ - الحلقة الأولى بعنوان : « بطولات عربية »
- ٢ - الحلقة الثانية بعنوان : « الناصر صلاح الدين »
- ٣ - الحلقة الثالثة بعنوان : « مصر مقبرة الفاتحين »
- ٤ - الحلقة الرابعة بعنوان : « أندلس العرب »
- ٥ - الحلقة الخامسة بعنوان : « الجنة في ظلال السيوف »

وها هي ذى الحلقة السادسة يضمها « الكتاب الماسي » بعنوان : « مصر الأقدمين » وبها عشرون قصةً مصرية ، وقعت حوادثها في عهود الفراعنة ، بطيبة ومنف ، وعهد البطالسة بالإسكندرية ، وفي خلال الاحتلال الروماني الذي سبق الفتح العربي ببضعة قرون .

ووقوع حوادث هذه الأقايصيص في العصور التي ذكرتها يفسر العنوان الذي وضعته لها : « مصر الأقدمين » .

إن الشعوب التي لها حاضر تعمل فيه لتأمين مستقبلها ، والتي ليس لها ماضٍ تفاخر به ، تكثر من التفتنى بقول القائل : « يا سعد أمة ليس لها تاريخ ! » وتحرف هذا القول أحياناً فتجعله : « يا سعد أمة ليس لها مشكلات ! » وذلك باعطاء كلمة « يستوار » الفرنسية أحد المعنيين : « تاريخ » أو « مشكلة » .

ولكن هذا القول ، أيا كان المعنى الذي يؤديه ، لا ينطبق على الأمم الشرقية عامة ، ولا على الشعب المصري ووطنه بصورة خاصة .

وعلى هذا ، فليس له مكان في لغة التخاطب او في لغة الكتابة في هذا الجزء من العالم ، والشعب المصرى يباهى بتاريخه ، ويفخر بماضيه ، ولا يتهرب من مواجهة المشكلات التى تعترضه فى تطوره الحاضر ، والمتاعب التى تثيرها فى طريقه المحاسن الخارجية ، والمطامع الامبريالية .

وهو يقول ويردد ولا يبالى :

« يا سعد امة لها تاريخ ا » او : « يا سعد امة لها مشكلات ا »
للتاريخ الطويل الذى عاصر الدهر وواكبته الاجيال ، انما هو مصدر قوة ومامل اعتزاز ، والمشكلات مهما تعددت وتنكاثرت ، انما من شأنها ان تشغل الهم وتحت على العمل ، لجعل المستقبل زاهرا وجديرا بالماضى العظيم .

حبيب جامانى

القاهرة

ربيع الآخر سنة ١٣٨٢

سبتمبر - ايلول سنة ١٩٦٢

طيف نيتوكريس

كان انتقامها من اعدائها رهيبا ، ف راحت
في النهاية ضحيته ، ولا يزال طيفها يحوم حول
الأهرام !



الملكة نيتوكريس تشيم حفلة صيد على
النيل يوم تسلمها العرش
(للمصور هاني مكارث)

المدينة الضخمة ساكنة هادئة ، على ضفاف النيل الجارى بين احضانها ، تحوطه بذرابعها وقد اطمأن اليها واطمأنت اليه ، وصب القمر الساطع فى كبد السماء الصافية سيلا من أشعته النيرة على «منف» عاصمة القراعنة ونهرها المقدس المبارك ، والناظر الى تلك الكتل المتتابة المتراسة من القصور والدور والشوارع والميادين ، التى لا ينبعث منها صوت ولا تبدو فيها حركة ، لا يتصور ان فتنة هوجاء قد اكتسحت هذه المدينة وروعت سكانها من عهد قريب . لكن الاعين فى القصر الملكى ظلت ساهرة ، وركنا من اركانها ظل مضاء ، والحركة ظلت قائمة فى الردهات والمرات المؤدية الى ذلك الركن ، حيث خلت الملكة الى نفسها فى حجرة زينتها ، وانبطحت على الأرض أمام لوحات ملئت بالرسوم والخطوط ، وراحت تفحصها وتمعن النظر فى دقائقها ، فحس العارف الخبير وامعان العازم على أمر خطير !

ودخل شخص على الملكة بلا استئذان ، ففطنت اليه من وقع قدميه ، وعرفت من هو لانها لم تكن تسمح لغيره بأن يزعمجا فى خلوتها ، فخطبته بدون أن ترفع أنظارها عن اللوحات المبسوطة أمامها ، وفى لهجة مزجت فيها الرقة بالحزم :

— لا أرى داعيا لاي تعديل فى خطتنا يا تاناچى .. فلم يبق علينا اذن الا أن نعد الى التنفيذ ، ونحدد سيره مرحلة بعد مرحلة ... اجلس ، ولننتفاهم ...



اسمها « نيتوكريس » ومعناه بلغة قدماء المصريين « الحسناء ذات الخدين الورديين » وقد حرف المؤرخون اليونانيون هذا الاسم فجعلوه « نيتوكريس » وهو الذى انتقل اليها من خلال الاجيال المتعاقبة ، وقد حكمت الأسرة السادسة مصر مائة وخمسين سنة ، من سنة ٢٦٢٥ الى ٢٤٧٥ قبل الميلاد ، ونقشت على صفحات المعابد والمدافن اسماء ملوكها «ببى الاول» ، و «ببى الثانى» ، و «مونرع» . ولكن الاقدار شاءت ان يختم عهد هذه الأسرة باسم امرأة هى « نيتوكريس » ، اول ملكة عرفها التاريخ ..

وقد شاطرت « نيتوكريس » زوجها الشاب عرش مصر عندما خلف عليه الملك «ببى الثانى» ، ولكنه لم ينعم بالملك اكثر من بضعة اشهر ، او بضعة اسابيع ، تأمر عليه بعدها اشراف الدولة وقتلوه اغتيالاً ، على أمل ان يتقاسموا ملكه فيما بينهم ، ويجعلوا من الدولة الواحدة

الكبيرة ، مجموعة من الدويلات الصغيرة . وكان فرعون القتل اخا
«نيتوكريس» وزوجا لها ، ولذلك كان انتقامها له مزدوجا ..

ففي الليلة التي اقترفت فيها الجريمة ، جمعت حولها رهطا من
الاهوان المخلصين ، الذين ظلوا على ولائهم للأسرة المالكة ، واتفقت معهم
على التظاهر بقبول ما حدث ، والارتياح الى ما قام به المتآمرون من
انقلاب مخضب بالدم . وتحالفت على الناقمين بحيث حملتهم على
مفاوضتها في امر البقاء مترتبة على العرش ، ريثما يتم الاتفاق بينها
وبينهم على ارضاء مطامعهم وتحقيق اغراضهم ، دون حاجة الى استعمال
العنف وما يترتب عليه من قلاقل واضطرابات ، قد تجرف الاسرة
واصدقائها وخصومها في تيارها الاهوج ..

ودعت الملكة جميع الاشراف الى نزهة في النيل ، بدون استثناء
القتلة السفاحين الذين اغتالوا الجالس على العرش ، واهدت لتلك
النزهة العجيبة نربا من السفن ، زودتها بأفخر الياش ، وأطيب أنواع
الطعام والشراب ، ومضى ذلك الموكب يمخر صباب النهر ، بين انفسام
الموسيقى ، وغناء المنشدين ، وجمل المدعوون يتبارون في الأكل والشرب
ثلثة ، وفي الصيد تارة أخرى . وقد اعتقدوا ان الملكة فرحة لمصرع
زوجها ، وان بقاء امرأة على عرش الفراغة سيجعله لعبة في أيديهم ، وان
شئون الدولة ستكون رهن رغباتهم وتصرفاتهم . وهل سمع أحد من
قبل ان المرأة تحسن سياسة الملك وتصلح للقضاء في أمور الرعية ؟

وتبعت هذه الدعوة دعوات متلاحقة متواصلة ، وغالت «نيتوكريس»
في اكرام الاشراف والتعجب اليهم ، واغدقت عليهم النعم بلا حساب ،
واكثرت من استشارتهم والاستشارة بأرائهم ، فاطمأنوا اليها الواحد
بعد الآخر ، وأقروها على عرش زوجها ، وراح كل منهم يعلل النفس
مرا بامتلاك قلبها في المستقبل ، وانقاذها زوجة له ، والجلوس معها
على أريكة الملك جنباً الى جنب !

ولما أدركت «نيتوكريس» أن شكوك الاشراف قد تبددت ، وان
الشعب لا يضرع لشخصها حقدا ، بل لا يبخل عليها بمظاهر العطف
والولاء ، قررت أن تضرب ضربتها ..



وكان القائد «ثاناجي» أقرب المقربين اليها ، وأوفى الأوفياء للذكرى
زوجها القتيل ، وأشجع الشجعان بين رؤساء جيشها ، وأوفرهم ذكاء
وقطنة ، فضلا عما يكنه فؤاده من حب مقيم للملكة الفاتنة ، وأمل في أن
تقايله ، من ناحيتها ، بحب يرفعه الى مصاف الملوك . وقد وقع اختيارها
عليه ليكون على رأس المؤامرة التي حاكت خيوطها في عزلة مخدعها ،
خلال ساعات الليل والنهار ، منذ ان أطاحت المؤامرة الأولى برأس زوجها
وأخيها ...

وقد تفننت الملكة الداهية في اعداد وسائل انتقامها ، و ارادت ان
تأخذ بثأر الملك والأسرة بصورة لم تخطر من قبل ولن تخطر من بعد
في بال أحد . ثم وضعت الخطة بنفسها ، ورسمت خطوط التنفيذ
بيدها ، وأطلعت على سرها شخصا واحدا ، هو ذلك القائد المقدم
العاشق ، ثاناى ، الذى عهدت اليه الملكة في الاشراف على تحقيق
ما مزمت عليه .

قالت الملكة ، وهى تصوب من مقلتها الى عيني القائد الولهان
سهما نفدت الى فؤاده فضعفته :

— ثاناى : لسنا في حاجة يا صديقى الى اعادة ما قلناه وكرناه
اكثر من مرة ، منذ ان كشفت لك عن قلبى ، وافضيت اليك بسرى .
وفي هذه الساعة التى اتخذ فيها أخطر قرار فى حياتى ، أقول لك انى
ساكون زوجة لك ، وستكون رفيق حياتى وتصبح شريكى فى الملك ،
عندما يتم لى الثأر الذى اسمى اليه . والآن ، عليك باعداد العدة
للبدء بالعمل ، وأنشاء القاعة التى ستقيم فيها المأدبة ، وأنجاز السرايب
الموصلة بينها وبين مجرى النيل ، وأذكر ان مصيرنا الى الهلاك ، لو فطن
أحد الى سرنا ، أو فشلنا فى اعداد مؤامرتنا أو تنفيذها ..

واقتربت « نيتوكريس » من الرجل المأخوذ بسحر عينها ، زاحفة
على بطنها ، متلوية كالحية ، وأحاطت بذراعيها عنق القائد ، وقدمت له
فمها ، فتشابكت شفاههما فى قبلة حارة ، أفرغت فيها الراء كل ما فى
أثورتها من افراء ، وأفرغ فيها الرجل كل ما يختلج فى صدره من حب
وعرفان جميل ..



كان القصر الملكى وملحقاته اشبه بمدينة قائمة بذاتها ، تكتنفه
الحدايق والبساتين ، وتتخلل الاشجار صفوف لا نهاية لها من النصب
والتماثيل ، وتمتد متنزهااته على ضفاف النيل . وهناك ، على مقربة
من النهر الجارى ، وفى ضاحية منعزلة من تلك المدينة الملكية ، حفر
المهندسون والعمال والأسرى ، بارشاد «ثاناى» وأشرافه ، وشيدوا
تحت الأرض قاعة فسيحة ، لها منفذ واحد ، ودعموها بالاعمدة ،
وزينوها بأبدع الصور والرسوم ، وفرشوها بأفخر الرياش ، ونصبوا
فيها الموائد المرمية والمقاعد الموهة بالذهب والفضة ، وأوصلوها
بمجرى النيل ، بسراديب ضيقة مغلقة من الناحيتين بصحائف من
الصخر . ولما انتهى العمل وأصبح كل شئ معدا لتنفيذ ما أضمروته
الملكة الداهية ، دعت جميع الاشراف الذين اشتركوا فى اقتيال زوجها
وليفيا من أمواتها المخلصين ، الى مأدبة فاخرة فى تلك القاعة ، حيث
قدمت لهم الد ما يمكن ان تشتهيه النفس من مأكول ومشرب ، وقامت
بنفسها على خدمة ضيوفها ، فكانت تطوف مع الخدم والجواري على

الموائد واحدة بعد أخرى ، وتبالغ في الترحيب بالاشراف ، وتوزع
إبتساماتها ذات اليمين وذات اليسار ..

وبإشارة منها ، شرع « ناناى » فى اخراج الإصدقاء الموالين من
القاعة ، فأوفد كلا منهم فى مهمة وهمية ، وتسلت الملكة نفسها من
منفذ القاعة الوحيد الى حدائق القصر ، وتبعها « ناناى » وأوصد
الباب ، ولم يبق فى داخل المكان غير الذين كانت الملكة ترغب فى الاقتصاد
منهم ، بعد أن دونت أسمائهم واحدا واحدا ، ووثقت من أن كلا منهم
كان له ضلع فى المؤامرة السابقة ...

وفجأة ، رفعت الأبواب الصخرية من فوهات السرايب ، وتدفقت
منها مياه النيل الى داخل القاعة ، فى هدير ارتعدت له فرائص المدعوين ،
فصحوا من سكرتهم ، ولكن بعد فوات الوقت ! فقد وثبوا من مقاعدهم
مدمورين ، وتزاحموا على باب القاعة يطلبون النجاة ، وحاولوا أن
يسدوا بأجسامهم فوهات السرايب . ولكن مياه النيل المتواطئة مع
ملكة النيل ، جرفتهم فى اندفاعها الهائل ، وملأت القاعة شيئا فشيئا ،
فلم تلبث أن أصبحت كالبحر المسدودة ..

وَمِنْ الْإِشْرَافِ جَمِيعًا ، أَمَا خَوْفًا ، وَأَمَا اخْتِنَاقًا ، وَأَمَا غَرَقًا ..



وذاقت « نيتوكريس » لذة الانتقام من اعدائها ، والثار لأخيها
وزوجها . وبكت الحسنة ذات الخدين الورديين . ولكن دموعها فى هذه
المرة كان مبعثها التشفى والفرح !

غير أن الارق داهمها منذ ذلك اليوم الرهيب ، وهجر النوم
أجفائها ، وتولاها قلق لم تدرك حقيقة مصدره ! .. انها لا تحب « ناناى » ،
ولكنها وعدته بالزواج ، ووعدته بالملك ! وهى تسمع صوتا خفيا يهيب
بها من اعماق نفسها ، أن هذا الزواج ستعقبه مؤامرة من الطامعين -
وما أكثرهم - للتخلص منها ومن شريكها . وقد ظلت المرأة تتخبط فى
غمرة ذلك القلق أسابيع وشهورا ، وخانها فى النهاية جلدتها ، وانهارت
أعصابها ، فعولت على وضع حد لذلك المذاب ، بالتخلص من الحياة

وفى صبيحة يوم من أيام الصيف البهية ، وضعت « نيتوكريس »
قرارها موضع التنفيذ ، وألقت بنفسها فى بئر مملوءة بالرماد ، فماتت
ختقا !

وأعد لها الشعب ماتما اشتركت فيه الرعية من اقصى المملكة الى
اقصاها ، وحنط الأطباء جثمانها ، ووضعوا المومياء فى تابوت من الحجر
الازرق ، ودفنت داخل الهرم الثالث ، هرم « منقرع » الذى أنجز
فى عهدها . وكانت وفاتها خاتمة الأسرة السادسة أيضا ..



كان أبعد الناس بأسا ، وأشدهم حزنا ، بعد موت « نيتوكريس »

ذلك الرجل الذى ساعدها على الثأر ، وأوشك أن يستحوذ فى آن واحد على الملك والصولجان : القائد ثاناچى العاشق المغرم !

فقد أصيب المسكين بدهول أفقده صوابه ، فجعل يطوف ليلا ونهارا حول الهرم الثالث حيث ترقد شريكته وحبيبته ، وعبثا حاول اصدقائه أن يعيدوا اليه الثقة والطمأنينة . فقد كان يزجرهم قائلا : « اننى أراها كل مساء وكل صباح هنا .. انها تخرج من أجلى وتفادى قبرها .. انها تحتضننى ، وتخاطبنى ، وتقبلنى ! »

وفى ذات يوم ، وجد « ثاناچى » ميتا عند سفح الهرم ، وقد اكب على وجهه ، وبسط ذراعيه كمن يعانق طيفا !

ومنذ ذلك الوقت ، وعلى كر الأيام ، والأعوام ، والدهور ، راجت تلك الاسطورة المؤثرة التى نقلها الينسا المؤرخون اليونانيون عن الملكة نيتوكريس وطيفها الذى يخرج من هرم منقرع فى الليالى القمرية ، ويحوم حول المقابر والمعابد ، وينادى العشاق بأسمائهم ، فيجلبهم اليه بقوة سحرية ، فيندفعون نحوه فاقدى الارادة ملتهمى الشعور، ويلحقون به فوق الرمال ، ويغيبون فى بطن الصحراء ، ولا يعودون منها أبدا !

سفينة فرعون

فرعون مصر سنوسرت الثالث • حفر في القرن
التاسع عشر قبل الميلاد ، قناة تصل البحرين ،
مثل قناة السويس التي حُفرت في القرن التاسع
عشر بعد الميلاد .



الربة مشترون
« تمثال فينيقي »

السفينة الزاهية تتهادى على صفحة الماء ، تداعب الأمواج الخفيفة جوانبها ، وتدفعها الرياح الشمالية برفق الى الامام . فالطقس ربيعى جميل ، والسماء صافية الاديم فى النهار ، متلألئة بالنجوم فى الليل . وعلى ظهر السفينة : انغام والحان وأناشيد ، تتصاعد بلا انقطاع من أفواه الرجال والنساء على السواء ، يتخللها أحيانا الرقص القومى أو الدينى ، والدعاء الى الالهة بأن ترعى المسافرين بعين عنايتها ، وتوصلهم سالمين الى بر الامان !

انهم يضع عشرات من المصريين والفينيقيين ، فى طريقهم الى وادى النيل المبارك ، لتقديم هدية الى فرعون .

انهم لا يحملون الهدية ، بل الهدية هى التى تحملهم ! فالسفينة التى تتهادى بهم تجاه الشاطئ ، صنعتها أبدى الفنانين المهرة من بناء السفن فى مدينة بيبولوس الفينيقية (١) لأهدائها الى فرعون مصر سنوسرت الثالث ، اعترافا بأبادية البيضاء على مدينتهم .

فى العام السابق ، هز جبال فينيقية وسواحلها زلزال عنيف ، لحقت بيبولوس من جرائه أضرار كبيرة . ولما بلغ الخبر مسامع فرعون، حزن لما حل بالمدينة العريقة ، التى كانت تربطها ببلاده روابط الصداقة والتعاون وتبادل السلع والمنتجات ، والتى كان فيها الليرة ايزيس المصرية معبد وكهنة ، بجانب معابد عشتروت (٢) دبة فينيقية وحارسة سفنها فى رحلاتها البعيدة ومغامراتها الجريئة .

أراد سنوسرت الثالث أن يعبر لشعب بيبولوس عن شعوره نحوه فى تلك المحنة القاسية ، فأوفد الى المدينة المنكوبة بعثة من أخصائه ، على رأسها « تانهرى » مهندس القصور الملكية ، والخبير فى تخطيط المدن وأعمال التعمير

وصل الوفد الى بيبولوس فى ثلاث سفن محملة بالمؤن من كل صنف ، والأدوات من كل نوع ، وتمثال لاييس ، ليحل فى حرم معبدها، محل التمثال الذى قيل لفرعون أن الزلزال أسقطه عن قاعدته فتحطم، وبعث ذلك الحادث التشاؤم فى النفوس .

قوبلت هدايا فرعون بالشكر والدعاء الطيب، وقرر شعب بيبولوس أن يرد عليها بهدية لائقة بالعاهل العظيم ، بأخذها وفد من بيبولوس الى مصر ، بعد مرور سنة على اليوم الذى ألتقت فيه السفن المصرية مراسيها فى الميناء

-
- (١) بيبولوس : أسمها اليوم « جبيل » - ميناء صغير على ساحل لبنان ، ومن أقدم المدن فى العالم
(٢) عشتروت : تقابل عند قدماء اليونانيين « استاترى » أو « فينوس » دبة الجمال .

ولما انقضت السنة ، كانت الهدية مهيأة جاهزة !

انها سفينة فينيقية من طراز خاص ، بنيت للقيام برحلات في
محاذاة الساحل ، وفي الانهار والجداول والقنوات .

صنعت كلها من خشب الارز - ازر لبنان الصلب المعطر - هيكلها ،
وجوانبها ، وصواربها ، ومجاديفها ، ومقاعدها ، وأدوات الزينة والطهر
فيها !

لم تخرج من مصانع السفن في ممالك فينيقية سفينة مثلها من قبل !
ولم تحمل سفينة من قبل ما حملته « سفينة فرعون » كما سماها اهل
ببيلوس ، من آنية فاخرة ، وعطور فواحة ، وعيدان ذكية ، وبخور
ولبان ، مرسله الى معابد مصر وهيكلها ، ومن عصافير نادرة ، وصقور
ونسور ، وفواكه مجففة ، وجلود وفراء ، وحلى وجواهر ، مرسله الى
فرعون ، عربون وفاء وولاء !

كان معظم رسل سنوسرت قد عادوا الى وطنهم الواحد بعد الآخر ،
وبقى بعضهم في ببيلوس مع رئيسهم تانهري ، الذى تزوج فتاة من
بناتها ، الحسنة « تنيشام » ابنة صاحب مراكب الصيد « رحيرام »
فأضاف ذلك الزواج رابطة جديدة الى الروابط الكثيرة التى كانت قائمة
بين الأسر الفينيقية والأسر المصرية .

عول تانهري على العودة الى بلاده ، مع زوجته ومن بقى من رفاقه ،
في السفينة الفاخرة التى أعدها سكان المدينة هدية لفرعون ، واختاروا
سماء رحيرام ربانا لها .

خرج الكهنة والكاهنات من معابد عشتروت في مهرجان اشتركت
فيه ببيلوس بأسرها ، وصعد كبيرهم الى ظهر السفينة ليباركها جريا
على العادة المتبعة عند الفينيقيين قبل كل رحلة بحرية . وأعلن انه
ورفاقه قرروا أن تسافر عليها فتاة من عذارى الهيكل ، لتكون صورة
مجسمة لبركة عشتروت في مياه مصر .

ولم تكن العذراء التى وقع عليها الاختيار غير الفتاة « سيكار »
أخت « تنيشام » زوجة « تانهري » المصرى ، فتمت بذلك سعادة
الاسرة التى ظل شغلها ملتبسا في « سفينة فرعون »

وقبل قيام السفينة ، جاء دور العرافة لتستطلع الغيب وتقرأ
في صفحاتها ما كتب للأحليين الى بعيد .

« سوف تصلون بسلام الى ارض مصر . وسوف تبقى السفينة
مصونة من الاذى ، في مأمن من الرياح العاصفة ، والمياه الهائجة ،
والاقدار القادرة ، ما دامت سيكار مقيمة فيها ، لا تغادرها الى البر ،
عذراء تعف عن الزواج . تقف نفسها لربتنا عشتروت ، تتوجه اليها
بالصلاة ، وتحرق لها البخور في ارض مصر ! »

واقلعت سفينة فرعون بمن فيها . هدية تحمل حاملها ، وراية

تشق العباب ، والانغام والالحان والاناشيد تملأ أرجاءها في الليل والنهار !

وصل الوافدون من بيبولوس الى شاطئ مصر بسلام . ودخلت سفينتهم مصب النيل من أحد فروعه ، وواصلت سيرها بين الضفتين ، حيث كان الناس يرقبون مرورها هاتفين مرحبين ، ووجهتها عاصمة فرعون العظيمة .

كان سنوسرت الثالث في أوج مجده !

فالأسرة الثانية عشرة ، التي ينتمى إليها ذلك العاهل المصلح ، حققت لمصر مشروعات انشائية خلدت أسماء ملوكها على كر الدهور . ثمانية من الفراعة ، كلهم رجال حرب وبناء ! .

في عهدهم الذي دام مائتي سنة فقط ، من ٢٠٠٠ الى ١٨٠٠ قبل الميلاد ، انتظمت الإدارة ، وضبطت جباية الضرائب ، وازدهرت الصناعة والزراعة ، واستخرجت المعادن من مناجم مصر ، والحجارة الكريمة من سيناء ، واتسعت التجارة في الداخل والخارج ، وخضع الاقطاعيون للسلطة المركزية ، وانشئت المعابد ، ورفعت مسلة عين شمس ، وشيد هرم دهشور ، وشملت الملاحة نهر النيل وفروعه ، والبحرين الاحمر والمتوسط ، وغصت البسلاد بالخيرات من كل نوع ، وبالسلع من كل بلد .

راى فرعون ان النقل بطريق البر بين سواحل البحرين ، يستغرق وقتا طويلا ، وجهودا شاقة ، ونفقات باهظة ، فقرر ان يصل بين البحر والبحر ، بقناة تمتد من فرع النيل الشرقى الى الخليج الذي ينتهى به البحر الاحمر ، داخل الارض المصرية .

قرر ونفذ في الحال !

كانت الترع في مصر السفلى تؤلف شبكة تتداخل مجاريها بعضها في بعض ، فتسهل على السفن الكبيرة والقوارب الصغيرة الانتقال من مكان الى مكان ، ومن مدينة الى مدينة ، على ضفاف النيل في طول الدلتا وعرضها .

فأضاف سنوسرت الثالث - ويغلب على الظن انه فرعون الذي تحدث عنه مؤرخو اليونان باسم سيزوستريس - قناة عميقة واسعة ، وصلت النيل بخليج البحر ، فتم بها الاتصال بين سواحل البحرين ، وتحققت أمنية فرعون !

وساعد ذلك على زيادة الرخاء ، فلهل الشعب ودعا للمصلح الكبير بالعمر الطويل ودوام العز والمجد .

ولما وصلت هدية شعب بيبولوس ، أمر فرعون باعداد سلسلة من الرحلات للزينة ، على طول مجرى النيل ، وفي فروعه وقنواته ، وأراد

قبل كل شيء ان يجتاز ضيوفه الفينيقيون ، بالسفينة التى سموها باسمه ، المسافة الفاصلة بين شاطئ البحر فى الشمال ، وشاطئ البحر فى الشرق ، بدون ان يضطروا الى النزول من سفينتهم ، التى سلكت للمرة الاولى الطريق المائى المحفور وسط الرمال ، والذى سماه فرعون « قناة البحرين » .

عاد رحيرام ابنى بلاده ، وقص على مواطنيه ما شاهده فى مصر من منشآت عمرانية مذهشة .

واستأنف تانهرى عمله فى القصور الملكية ، ومعه زوجته الفينيقية نيشام ، التى ذاعت فى وطنها الثانى سعادة كانت لها عزاء على هجرها وطنها الاول .

وبقيت سيكار ، الكاهنة العذراء ، على ظهر سفينة فرعون ، عملا بإرادة الآلهة التى نطقت بها العرافة فى بيبلوس ، والتى خضع لها سنوسرت لما اطلعه تانهرى ورفاقه عليها .

أمر الملك بأن تحاط الفتاة الغريبة بالاكرام وأن تظل مصونة من الآن . وأوصى بها الربان الذى اختاره من المقربين اليه ، ليحل محل رحيرام الفينيقى ، والد العذراء سيكار ، وقال له : « كن لها أباً ، وإخاه وحارساً أميناً ! »

توالى الأيام ، وتتابعت الرحلات ، ومرت الشهور والأعوام ، وفرعون ساهر على سلامة مملكته ، عامل لاسعاد شعبها ، يختلس من وقته الشين أياماً معدودة لياخذ نصيبه من الراحة .

كان يستخدم دائماً فى تنقلاته داخل البلاد ، وبين شواطئها ، وفى أطرافها ، تلك السفينة التى جاءته هدية من قوم عرفوا له فضله وأقروا بجميله .

ولم يفتن الى أن مأساة عاطفية تدور فصولها على ظهر السفينة ، وتسبب شقاء شخصين فى ريعان الشباب !

فقد توثقت اللفة بين الربان المصرى الذى عهد اليه فرعون بقيادة سفينته ، والفتاة الفينيقية التى قضت إرادة الآلهة بأن تبقى عذراء ، ولا تلمس الأرض بقدميها !

نشأت المحبة بعد اللفة ، وتحولت المحبة الى حب . وانقلب الحب غراماً جارفاً ، ولكن الفتاة أبت أن تخون العهد الذى قطعت على نفسها ، يوم رضيت بأن تصعد الى ظهر السفينة ولا تفادرها ، والا يكون لها طول حياتها علاقة برجل !

واحترم الشسباب تمسك الفتاة بعهدا . فقاسى من حبه المكثوم عذاباً ادمى فؤاده ، وانتابه أرق دائم هلك كيانه وأفقده جسمه القوة اللازمة لمواصلة القيام بعمله ، وأداء مهمته .

وزاد في عذابه ما كان يراه من مظاهر الضعف واليأس عند الحبيبة العزيزة . فقد ذبلت نضارة وجهها ، وغارت عيناها ، وتمتعت ذات يوم على مسمع من الحبيب الغالي ، أنها أصبحت تؤثر الموت على الحياة ، اذ لم يعد في وسعها أن تقاوم العاطفة الجياشة في صدرها ، ولا تستطيع من ناحية أخرى أن تخون العهد وتخالف ارادة عشقوت !

عرف الشاب والفتاة كيف يكون شقاء المحبين ، اذا لم يكمل الحب بالوصال !

وفي يوم من ايام الربيع ، تلقى الشاب من فرعون أمرا بأن يعد السفينة لرحلة جديدة ، خلال القناة الكبيرة ، الى ساحل الخليج .

فأعد الربان العدة لتلبية أمر فرعون ! ولكن خبرا محزنا كان ينتظر سنوسرت ، عند مرافا السفن في نهر النيل .

في ذلك اليوم ، وجدت سيكار ، الفينيقية العذراء ، ميتة في فراشها ، وعلى فمها ابتسامة جميلة كأنها تستقبل الموت بالرضا والارتياح !

وفي ذلك اليوم ، عرف فرعون قصة الغرام التي جمعت بين قلبين !

فقد روى له الشاب العاشق ما حدث بينه وبين كاهنة عشقوت فادرك فرعون أن الفتاة ماتت من الحزن والأسى .

فنفرت دمعة من عينه !

ثم خاطب رجال حاشيته ، وبحارة السفينة ، قائلا :

— علينا أن نحترم ارادة الآلهة كما احترمتها هذه العذراء المسكينة ... ليس في وسعنا أن ننقلها الى البر لدفنها في أرض مصر التي أحببتها ... فالسفينة في هذه الحالة قد تتعرض للهلاك ، تحقيقا لتكهن العرافة ، التي قالت ان السفينة ستبقى مصونة من الأذى ، مادامت سيكار مقيمة فيها !

تطلع السامعون بعضهم الى بعض ، متسائلين ماذا يريد فرعون أن يصنع ؟

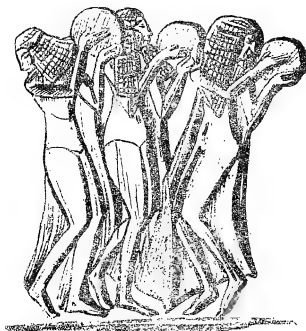
واستطرد سنوسرت قائلا :

— لن تمخر بنا هذه السفينة بعد اليوم عباب النهر أو البحر ... امضوا بها في القناة الكبيرة الى عرض الخليج ، وهناك ، افتحوا ثغرة في جنبها ، واهجروها ، ودعوها تفرق وبها العذراء الفينيقية في كفنها ! فهي خير ضريح لها !

أغرقت « سفينة فرعون » فى مياه الخليج ، وبقيت فيها جثتان !
فقد حمل رجالها الخبر الى سنوسرت الثالث فى قصره فتضاعف
حزنه ، ونفرت فى هذه المرة من عينيه دمعتان !
لما فتح البحار ثغرة فى جنب السفينة ، وتنادوا للنزول منها ،
وتركها تفرق تنفيذا لأمر فرعون ، رفض الربان العاشق ان يلحق بهم ،
وأبى الا أن يقلل ملازما لجثمان حبيبته ، فيرحل معها الى العالم
الآخر !
وغارت سفينة فرعون فى اليم ، تضم فى أحضانها العاشقة الميتة ،
والعاشق الحى !

رسول فرعون

في عهد تحوتمس الأول ، بدأ المصريون يعنون
بتربية الخيول العربية الأصيلة ، وانشاء
كتسائب الفرسسان في الجيش . . . !



وجاءوا لفرعون بأربع الراقصات

أحاط رجال الدولة بفرعون الكتيب الحزين ، وحاولوا عبثا تهدئة
خاطره وإدخال السرور على نفسه ، وجاءوا بأبرع الراقصات وأجمل
النساء وأمهر العازفين على آلات الطرب ، وأشهر المغنين في « طيبة »
وأقاموا في العاصمة المصرية الافراح والليالي الملاح . ولكن ذلك لم
يخفف من حزن فرعون وكآبته ، ولم يجد منفذا الى صدره المنقبض .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

تلك هي الكلمة التي كانت ترددها شفتاه في صحوه ومنامه ، في
روحاته وغدواته ، في داخل قصره بطيبة أو في الحدائق الغناء على
ضفاف النيل المبارك .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

أحرزت الجيوش المصرية انتصارات باهرة في الميادين ، ولكن تلك
الانتصارات لم تكن كافية لمحو ذلك الاسم من ذهن فرعون .

وامتدت حدود مصر الى مسافات شاسعة شرقا وغربا وجنوبا .
وخضعت لها الممالك الآسيوية والافريقية . ولكن تلك الفتوح لم تكن
كافية لتمزيه فرعون عن فقد من يحب .

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

طبع ذلك الاسم — بل نقش نقشا — في قلب العاهل الفاتح ، ولكن
فرعون العظيم القدير ، الذي استطاع أن يحتفظ بملكه المتراكم
الاطراف ، وببسط سلطانه على أرباب التيجان في العالم المعروف في ذلك
الوقت ، عجز عن الاحتفاظ بامرأة أحبها وأخضع قلبه لمشيئتها .

فقد هربت المحبوبة المعبودة من القصر في ليلة مظلمة ، وأثرت
العودة الى أهلها في البلاد التي « ما بين النهرين » (١) حيث تشرق
الشمس وتهب الرياح العاصفة — على البقاء في ديار الغربة وفي قصر
فرعون !

وطار قلب تحوتمس الاول شعاعا ، وجن جنونه ، وتولاه القلق
والياس ، وحل الاضطراب في حياته محل الراحة والهناء .

وراح يبحث عن المحبوبة الهاربة ، ويردد في كل آن ومكان اسمها
العلب :

— كرتيميس ! .. كرتيميس !

أعاد « أحمس » الى مصر استقلالها والى الاسرة المصرية المالكة

(١) هي اليوم العراق .

تاجها ، بعد أن تم له النصر وطرد « الهكسوس » الرعاة من وادى النيل ، ومات ذلك الملك المنصور تاركاً لخلفائه دولة قوية منيعة الجائب .

وجلس على عرش مصر بعده امنوفيس الاول ، فسار في الطريق الذى خطه سلفه ، وعزز الملك بفتوح جديدة ومشروعات عمرانية جليلة ، ومات فى سنة ١٥٤٠ قبل الميلاد فبكته الرعية ، وأقسم خلفه تحوتمس الاول « أن يتم مابداً به ذلك الملك العادل الصالح .

وتولى تحوتمس الملك من سنة ١٥٤٠ الى سنة ١٥١٥ قبل الميلاد فبلفت مصر فى عهده أوج العلا ، وحرقت البخور فى الهياكل تكريماً له ، ورفعته الى مصاف الآلهة فعبدت « ابن توت » وأجلسته على عرش القلوب بعد أن أجلسه على عرش الملك .

وحدث فى اثناء غزوة قام بها الجيش المصرى الظافر فى أقاصى الشرق ، على ضفاف الفرات ، أن ساق الغزاة الفاتحون أمامهم طائفة من الأسرى والعبيد والسبايا ، حاملين أبداع ماحوته تلك البلاد من نفائس .

وجاء قواد الجيش الى فرعون بفتاة تحاكي البدر بهاء ونورا ، وعود الخيزران تشنيا وامتشاقا ، والظبي دلالات ونفورا . وهى ابنة أمير من أمراء البادية ، نازل المصريين فى الميادين ، وحاربهم مجاربة الأبطال وابنته الى جانبه ، تشدد أزره وتضرم فى صدره نار الحماسة ، وتعرضه على القتال ، الى أن سقط الأب صريعاً فى حومة الوغى ، ووقعت الابنة أسيرة فى أيدي الغالبين المنتصرين !

وقال قائدهم :

— ستكون هذه الغاية هديتنا الى فرعون !

وتقبل تحوتمس الهدية ، وحلت الفتاة فى قصر الملك ، وأقامت بين النساء معززة مكرمة ، وما لبث فرعون أن جعلها رئيسة عليهن جميعاً ، تأمر فتخضع لأوامرها الراقصات والخادمت والاماء وحاملات العطور والرياحين .

ولكن « كرتيمس » لم تكن سعيدة ولم تكن راضية بتلك الحياة الجديدة . وعندما أرسل تحوتمس فى طلبها ، وكاشفها بحبه ، وأفضى اليها بما أثارته فى نفسه من غرام ، لم يعد قادراً على كبح جماحه ، ألقت الفتاة بنفسها على قدميه ، وقالت والدموع تنهمر من عينيها النجلاوين :

— اذا كنت أيها المولى القدير تحبني حقيقة ، وتكن لى فى صدرك مانوح به الآن من شعور قوى ، فأثبت لى ذلك بالبرهان الساطع والدليل المحسوس ، وأعد الى حريتى ، وأطلق سراحي ، ودعنى اذهب الى حيث نشأت وترعرت فى جوف الصحراء المحرقة ، وسط الرمال التى لا نهاية لها ، حيث لقي آباي وأجدادى حتفهم فى الحروب ، وحيث أريد أن أقضى حياتى وأموت !

لكن فرعون لم يجبها الى طلبها ، وجعل يمنيها بطيب الآمال وحلو

الامانى ، قائلا : انها ستعيش في القصر محسوبة بالاجلال والمحبة والاكرام ، لا فرق بينها وبين الملكة المتوجة ، وان بقاءها في طيبة يضمن لها ولفرعون السعادة والهناء في مستقبل الايام !

وحاولت كرتيمس فيما بعد غير مرة ان تحمل فرعون على اخلاء سبيلها واعادتها الى بلادها وعشيرتها ، ولكنها كانت فى كل مرة تلاقى منه اعراضا ورفضاً ، فعولت على الهرب من القصر .

وحققت بغيتها بمساعدة من تمكنت من اغرائه بالمال من الحراس ، وفقدتها تحوتمس ذات يوم فلم يجدها ...

وانقلب فرعون منذ ذلك الوقت من حال الى حال . وساورته الهواجس والهموم ، وراح يردد اسم الحسناء الشاردة :

— كرتيمس ! كرتيمس ! كرتيمس ! ثم احضر القائد لديه وقال :

— اريد ان تجتاح البلاد ، وتخضع سكانها ، وتفرض عليهم الجزية ، وتسوق الاشداء منهم الى الاسر ، وتنزل العقاب الصارم بكل من يخيل اليك ان له علما بمقر كرتيمس ، ويتذرع بالنكران . اسمع انت ؟

فركع القائد امام فرعون واجاب :

— سامع يا مولاي !

— اذهب ! وليرحف الجيش منذ الليلة الى الشرق !

وفي المساء ، غادرت الجحافل المصرية ضواحي طيبة حيث ظلت تحتشد بضعة اسابيع .

سار جيش الى الشمال فالشرق لفزو بلاد الاشوريين والبابليين والفرس .

وسار جيش الى الجنوب لفزو بلاد كوش — المسماة الآن « اثيوبيا » أو « الحبشة » .

وامر فرعون بأن تنصب على شرفة قصره العليا خيمة ارجوانية ، ويوضع فيها سرير الملك ، لكي يشرف على الطرق المتشعبة من طيبة الى اطراف المملكة ، واقسم أن يظل مقيماً فى تلك الخيمة الى أن يحمل اليه الرسل خبراً ساراً عن كرتيمس !

واوفد مع الجيش الزاحف شمالاً وشرقاً مائة رسول من عبيد القصر المشهورين بسرعة الجرى وقطع المسافات البعيدة بلا عناء . وعهد الى قيادة الجيش في أن تعيد الى طيبة رسولا واحداً كل يومين او ثلاثة ، حاملاً الى القصر آخر الأخبار .

ودار القمر دورته مرة بعد مرة ، ولم يحمل الرسل الى فرعون غير انباء الانتصارات المتوالية التى أحرزها جيشه فى ميادين القتال .

ولم يكن هذا ما يتوق اليه تحوتمس ، بل كان يرغب قبل كل شيء
في معرفة ما تم من أمر كرتيميس ، وهل تمكن قواد جيشه من العبور
عليها وهل هي عائدة الى العصر أو لا ؟

وفد الرسل الواحد بعد الآخر ، وكان فرعون كلما جىء اليه
يرسول قادم من الشرق يبادره سائلا :

— ما ورايك من اخبار ؟

فيجيب الرسول :

— انتصر جيشك يا فرعون !

ولكن تحوتمس كان يقاطعه قائلا :

— اليس ورايك غير اخبار الحرب والقتال ؟

— نعم يا مولاي !

— اذهب اذن !

وبعد أن وفد على طيبة ثلاثون رسولا لا يحملون غير أنبياء
الانتصارات ، صاح فرعون في غيظ وحقن :

— ليس هذا ما أود معرفته ! ليس هذا ما أتوق اليه ! كرتيميس !
كرتيميس ! أريد أن أعلم ماذا حل بكرتيميس . ولن ينزل الرسول بعد
اليوم حيا من هذا المكان ان كان لا يحمل الى اخباراً عن كرتيميس !

فارتجف رجال القصر من الخوف . وأسرع الكهنة الى الآلهة
بتوسلون ويضرعون اليها بأن تحقق رغبة فرعون وتنقذ حياة الرسل
المساكين !

وبعد عشرة أيام وفد رسول جديد ، ومثل بين يدي تحوتمس
الاول ، فوجده وحيدا في خيمته . وقد وضع أمام وسادته سيفاً
مسلولا ...

وصاح فرعون :

— امعك خبر عن كرتيميس ؟

— كلا يا مولاي !

— خذ اذن !

ومزق السيف صدر المسكين وأسكت دقات قلبه ، فخر على
الارض جثة هامدة !

واستلقى فرعون على سريره وهو يرتجف من الغضب ...
وشاءت الاقدار أن يفد على القصر في ذلك اليوم أربعة من الرسل ؛
قتلهم فرعون الواحد بعد الآخر لانهم لم يحملوا اليه الخبر السار الذي
كان ينتظره ...

وانقضت عشرون يوما لم يفد فيها على طيبة رسول آخر من
الجيوش المحاربة ...

وقلق فرعون واضطرب ، وخشى أن تكون هناك كارثة قد حلت
بجنوده ، فهجر الرقاد جفونه ، وواصل الليل بالنهار على الشرفة ،
وغيناه شاخصتان الى الطريق ، رافضا ما كان يحمله اليه العبيد من
طعام وتأتيه به الاماء من شراب وعطور ...

وفجأة ، في منتصف الليل ، استيقظ تحتمس على ضواء
منبعثة من سلم الشرفة وسمع صوتا قويا يصيح قائلا :

— لن يقف حارس في وجهي ، فلا بد من الوصول الى فرعون لاننى
احمل اخبارا يجب أن تبلفه في الحال !

وصاح تحتمس من ناحيته :

— على بالرجل !

واندفع الى الشرفة شاب في العقد الثالث من العمر ، قوى البنية
مقتول الساعدين اسود البشرة ، وانطرح على الارض امام فرعون قائلا:

— انى أعلم يامولاى ماينتظره الرسول الذى لا يحمل اليك خيرا
من الفتاة كرميس ! وانى احمل اليك ذلك الخبر . غير انه خبر ليس
فيه ما يسر !

— أفصح ... أفصح ...

— ان كرميس يا فرعون قد انتقلت الى عالم غير هذا العالم .

— مائت ؟

— مائت متحيرة بعد أن انتزعناها من ديار أهلها ومن بين
عشيرتها ...

— كيف حدث ذلك ؟

— خرج الينا القوم من بطن الصحراء وكانت كرميس نفسها
تقودهم وتحثهم على القتال . ولكننا صمدنا لهم ، ودفعنا هجومهم ،
ثم تغلبنا عليهم شيئا فشيئا حتى هزمناهم هزيمة منكرة ، وفكنا بهم
فتكا ذريعا . وما انتهى ذلك اليوم المشهود حتى كانت اسلاؤهم تملا
السهل ، ومواشيهم شاردة فيه . وقد وقع في الأسر كثيرون منهم بينهم
كرميس ، التى جرحت في المعركة .

وبعد ؟

— أقمنا حولها الحراس وضمعدنا جرحها واحطناها بكل عناية .
ولكنها يامولاى اغتنتم فرصة الظلام الحالك وخنقت نفسها بشعرها
الطويل المسترسل على كتفها !

— ويحكم ! اما فكرتم في حراستها ليلا كما فكرتم في حراستها نهارا ؟ .

— لم يعتقد أحد منا يا مولاي انها ستقدم على ذلك العمل الجنونى !

— انك تستحق الموت كسواك من الرسل الذين سبقوك . ولكنى سابقي عليك واحتفظ بك الى ما بعد عودة الجيش ...

— لدى خبر آخر يا فرعون !

— تكلم ...

— ان الجيش العائد من الصحراء الشرقية ، يسوق امامه اسرابا من « الخيول » العربية ...

— آه .. الخيول .. التى يستخدمها اعداؤنا في السفر والحرب ، فيمتطونها ويروضونها ويدربونها على الجرى والقنال . لقد احسنتم صنعا . وهذا الخبر يحملنى على العفو عنك . اذهب فانت حر طليق !

خرج الرسول ، ونظر فرعون حواله . وعندما ايقن انه وحيد على شرفة القصر ، وان لا أحد يراه ، امسك رأسه بيديه ، وتفجرت الدموع من عينيه ، وبكى بكاء مرا ، على حين كانت شفتاه ترددان الاسم المحبوب :

— كرتيس ! .. كرتيس !

رجع الجيش الفاتح من ارض بابل وآشور وفارس ، يسوق امامه آلافا من الأسرى والسبائا ، وقطعانا من الخيول المظهمة والافراس الاصيلة ، وانقالا لا يحصى لها عدد ووزن من اسلاب المعارك وتحف القصور .

ووصفى تحوتمس بامعان الى ما قصه قواد جيشه من أمر كرتيس ، وكيف أثرت الانتحار على العودة الى الاسر ، وقال بعد ان اطلع على نتيجة تلك الحملة الموفقة التى قام بها جيشه الباسل على الدول المجاورة :

— لقد احرزتم في المعارك نصرا انسانى ماعداه من امور . واحرز الجيش في الجنوب نصرا آخر يبسط سلطان فرعون على بلاد كوش . وفرعون فخور بجنده وقواده . وقد مجزتم عن اعادة امرأة هاربة الى القصر الذى هربت منه ، ولكنكم اتيتم بعامل جديد من عوامل النصر في الايام المقبلة . اتيتم بالحيوان الذى يعد خير صديق للرجل بين ذوات القوائم الاربع . فان الهكسوس قد جاءوا ببعض الخيول من الشرق ، ولكنهم لم يعتنوا بتربيتها فى وادى النيل ، أما الآن ، فاننا سننشئ لها المرباط ونهيئ لها المراعى الخصبة ، ونخصص لها من ابناء مصر من

يثولى تربيتها وتحسين نسلها. وسوف يستخدم ملوك مصر فى المستقبل تلك الخيول والافراس لعظمة مصر وبسط سلطان فرعون على الشعوب الاخرى .

وبعث تحوتمس فى طلب الرسول الذى حمل اليه خبر موت كرميس وجلب الخيول الى مصر ، فأنعم عليه وكافاه ، واختاره رسولا خاصا له ، وعرف الرجل منذ ذلك الوقت باسم « رسول فرعون » . ونسى تحوتمس الفتاة كرميس ، كان ذكرها قد ذاب على حرارة الدموع التى تساقطت من عينيه فى تلك الليلة !

وانصرف المصريون منذ ذلك الوقت الى العناية بتربية الخيول ، وما مرت سنوات معدودة حتى كان عددها قد تضاعف فى وادى النيل، وأنشأ فرعون فى جيشه فرقا من الفرسان الذين عاد اليهم الفضل فى فتح الاقطار واخضاع الامصار ...

الجميلة أتت

وقصت الصبية الرشيدة أمام فرعون
فقرر أن يتزوجها ...



راقصة من بنات الانصراف في قصر فرعون

بدا قصر فرعون في ذلك اليوم البهيج في حلة من الزينة تهنئ الإبصار ، وتأخذ بالآليات ، وخروج الشعب الى الشوارع والبيادر . واحاط بالقصر الملكي ينظر الى الحراس الكثيرين ، وقد تفرقوا على الابواب . ويصغى من بعيد الى الالحان العذبة والانغام الشجية المتصاعدة من وراء الجدران العالية ، وينشر الازهار ويلوح بالرياحين كلما اخترق صفوفه . كاهن من الكهنة ، أو عظيم من العظماء ، أو قائد من القواد ، في طريقه الى المقر الملكي ، حيث أقام فرعون حفلة سمر وطرب ، دعا اليها رجال مملكته الامناء ، وأصحاب الراى التافد فيها .

وتربع امنحوتب الرابع في سريره الذهبى المزصع بالحجارة الكريمة . واحاط به المدعوون احاطة السوار بالمعصم ، على حين أن المنعنين يطربون الملك بأناشيدهم الجبيلة ، طالبين من آمون أن يطيل ملكه ويزينه مجدا على مجد وجاها على جاه .

وجلس بجانب الملك امه النبيلة الذكية المسنوعة الكلمة ، الملكة « تي » زوجة امنحوتب الثالث العظيم ، القوى الشجاع ، الذى لم يطلق في حياته من القوس سهما طائشا ، واللى روع الجيوش في الميادين والسباع في الغابات ، فدون اسمه في التاريخ كأمر صياد عرقه الناس ، وقتل في الصحارى والادغال والهضاب مائة وأثنى عشر أسدا في عشر سنوات ، فضلا عن الذئاب والفهود والثعالب والصقور !

وكان ابنه امنحوتب الرابع يعلى النفس بالسمر على منهاج ابيه في تدوين الممالك واخضاع الشعوب ، ولكن بطريقة غير التى عمد اليها أبوه ، وبسلاح غير الذى كان فرعون العظيم يشهره في وجه اعدائه

كان امنحوتب الثالث يخضع اعدائه بنصال السيوف واسنة الرماح وسهام الاقواس . أما امنحوتب الرابع ، فقد فكر في اخضاعها بدين جديد وعقائد مبتكرة تقوم على انقراض الدين القديم والعقائد البالية .

وهو الذى قوض سلطة الكهنة فيما بعد وهجر معابد آمون ، وأقام لآتون معابد جديدة ، فحمل منذ ذلك الوقت اسم اخناتون بدلا من امنحوتب .

أما تلك الحفلة التى كان يحييها ، والتى دعا اليها الرجال البارزين في مملكته ، فقد أعدها لاستقبال رسول دشراته ، أحد ملوك سورية .

أرادت الملكة تي ، أم الملك امنحوتب ، أن يتخذ ابنها زوجة له من بنات الملوك التابعين له الخاضعين لتاجه ، وكانت ترمى بذلك الى ضمائم خضوع تلك الشعوب البعيدة ، التى كانت كلما سنحت لها الفرصة تشق عصا الطاعة على فرعون وتمسك عن دفع الجزية .

وكان للملك دشراته ابنة فاتنة الحسن ذاعصيتها في الافطار شرقا وغربا ، فأرادت الملكة أن يتزوج ابنها تلك الفتاة الجميلة ، وبعثت الى الملك دشراته تنبئه بذلك ، فأجابها الى طلبها ، وأوفد رسوله الى فرعون يحمل اليه الهدايا ويقطع له عهدا باسم سيده دشراته بأن تكون ابنته « تادوو » زوجة لامنحوتب وملكة على مصر .

افضى الرسول الى فرعون بمضمون رسالته ، ووضع بين يديه الهديا التي عهد اليه سيده في حملها الى مصر ، فتقبلها امنحوتب مبتسما شاكرا ، وأمر حجابيه بأن ينزلوا الرسول وصحبه ضيوفا مكرمين في قصره ، ودعا الرجل الى اخذ مكانه بين الحاضرين ، وأشار الى رئيس التشريفات بادخال الراقصات .

فدخلن ، وكن عشرا تليهن عشرات فعشرات .. وجعلن يعرضن على الملك وحاشيته وضيوفه آخر ما وصل اليه فن الرقص في ذلك الوقت من سحر وابداع . ثم خرجن الواحدة بعد الاخرى ، وبقيت منهن راقصة أرادت أن ترقص أمام الملك بمفردها ، بعد أن كانت تشرف على زميلاتها ، وتدير حركاتهن ، وتقضى بدخولهن وانصرافهن من حضرة فرعون .

وبينما انظار جميع من حضروا ذلك المجلس متجهة الى تلك الراقصة البارة الجميلة ، وقد أخذوا بحسنها وخفتها ومهارتها ، أشار فرعون الى أحد حجابيه الامناء ، فاقترب الحاجب من العرش ، وهمس امنحوتب في اذنه :

— جئني بهذه الراقصة بعد انصراف المدعوين !

مثلت الراقصة بين يدي فرعون ، خائفة مرتعدة ، ظنا منها ان الملك قاضب عليها وان رقصها ورقص زميلاتها لم ينل حظوة في عينيه .

ولكن الملك كان يتسم ، وجعل يخاطبها بلهجة اعدت الطمانينة الى نفسها المضطربة ، فأدركت أن مخاوفها لم تكن في محلها ، وأن فرعون العظيم لم يبعث في طلبها الا لانه يريد بها خيرا .

وسألها ببشاشة ولفظ :

— لم أرك قبل الآن بين الراقصات في القصر . هل قضيت زمنا طويلا هنا ؟

— قضيت بضعة اشهر يا مولاي

— اتحبين الرقص ؟

— أحبه الى حد الجنون . وقد رغبت فيه ومارسته بالرغم من ان البيئة التي أنتمى اليها لا يسمح فيها للبنات بمزاولة هذا الفن الجميل .

- انت اذن من الاشراف ؟

- نعم يا مولاي

- ما اسمك ؟

- نفرتيتى

- نفرتيتى ! اسم جميل يرن فى الاذن رنة طرب ، كانه نغم قيثارة
تضرب اوتارها انامل الحسان .

سكتت الفتاة ولم تنبس ، وحاولت ان تحول نظرها عن نظرس
فرعون . لكن امنحوتب نهض من مكانه ، واخذ رأسها بين يديه ، وحقق
اليها البصر ، وقال بلهجة حارة :

- نفرتيتى ، ستتوجين ملكة على مصر !

فاكبت الفتاة تقبل يدى فرعون العظيم وهى تضحك وتبكي فى
وقت واحد ، وقد اوشكت تلك الكلمات التى تساقطت من فم الملك ان
تفقدوا الرشد والادراك ، وجعل امنحوتب يداعب جدائل شعرها الناعم
بين انامله ، ويقول مرددا :

- ستتوجين ملكة على مصر ، فاذهبى ، وتطيبى ، وانتظرى ما
يحمله اليك القدر من مسرات وسعادة ومجد وهناء ! ستتوجين ملكة على
مصر ! ستتوجين ملكة على مصر !

هى ابنة « عاى » الحسيب النسيب ، من كبار النبلاء فى حاشية
فرعون ، والحائز على رضاه ، وصاحب الشهرة الواسعة بين رجال
الجيش . ولم يسمح عاى لابنته نفرتيتى بان تمارس الرقص الا على
شرط ان يكون ذلك فى قصر فرعون وبصحبة رفيقات لها من بنات
النبلاء والاشراف .

وبرعت نفرتيتى فى الفن الذى عشقته الى حد بعيد ، فبايعتها
زميلاتا بالزعامة ، وتولت الاشراف على حلقات الرقص ، بموافقة الملكة
تى وتحت رعايتها .

ولكن الملكة لم تكن لتتصور ، فى اية حال ان يقع ابنها الشاب فى
غرام الفتاة ابنة النبيل المصرى ، وهو يراها ترقص امامه ، وان ذلك
الغرام المفاجىء سوف يفسد عليها مشروع الزواج الذى اعدته لامنحوتب ،
وهو ان تستقدم له زوجته الاولى من بلد آسيوى . وقد وقع اختيارها
على الحسناء « تادوو » ابنة دشراته الملك السورى .

حاولت الملكة تى ان تثنى وحيدها عن عزمه ، وان تحمله على
احترام العهد الذى قطعته باسمه للملك دشراته ، وان تقنعه بان زواجه
من فتاة اخرى غير تادوو ، قد يجر عليه مصاعب ومشكلات هو فى غنى
عنها ، وان رئيس الكهنة لن يرضى بذلك الزواج ، وان المستقبل سيكون
مثقلا بالحوادث الجسام اذا ظل الملك الشاب على رايه . لكن امنحوتب

أبى إلا أن ينفذ ما عزم عليه . وكان يجيب على نصائح أمه بهذه الكلمات
يردها بلا انقطاع ، وقد أخذ بجمال الصبية الراقصة :
- ستزوج نفرتيتى ملكة على مصر !

لم يمض شهر واحد على ذلك اليوم الذى وقع فيه نظر الملك على
نفرتيتى للمرة الاولى ، حتى وصل الى طيبة موكب فخيم ، يتقدمه الجنود
حاملين الرماح والاقواس ، ويحيط به من كل جانب العبيد والخدم حاملين
الهدايا والعطور ، ويتوسطه هودج من الذهب الخالص ، قائم على مركبة
تجرها الجياد ، وقد تربعت فيه ، على وسائد حمراء مزخرفة بالحياوط
الذهبية ، فتاة تحاكى البدر بهاء ..

ذلك هو الموكب الذى سيره الملك دشراته الى طيبة ، وتلك هى ابنة
الملك تادوو التى اعددها أبوها زوجة لفرعون ، والتى اعرض عنها امنحوتب
وفضل عليها الراقصة ابنة النبيل عاى ..

أمر فرعون بأن يكون استقبال ابنة الملك السورى بالغاً منتهى الحفاوة ،
وأن تحل ومن معها فى القصر الملكى فى جناح خاص . ولكنه أبى أن يراها
وأن ينفذ ما جاءت الفتاة لاجله من عند أبيها ..

مر أسبوع وتلاه أسبوع آخر ومرت أسابيع فشهور ، والملك باق على
عزمه ، مصر على ما ابداه لأمه ، دون أن يؤثر فيه الحاح الكهنة أو ينال
منه تهديدهم ..

واضطرت الملكة تى أن تعيد الفتاة الى أبيها الملك دشراته ، مع رسول
يقول ان فرعون مريض وان مرضه يحول دون زواجه !

وفى الوقت الذى كان الرسول يفضى برسالته الى الملك دشراته ،
محاولا اقناعه بأن امنحوتب لن يقدم على زواج ولن يتخذ له امرأة ، كان
القصر الملكى فى طيبة يشهد حفلة زفاف بسيطة لا تتفق مع عظمة التاج
وفى تلك الساعة التى كانت فيها الاميرة تادوو تنتحب بين يدي
أبيها ، وتشكو اليه ما حل بها فى مصر من خيبة أمل ، وما آل اليه حظها ،
كانت نفرتيتى - ومعنى هذا الاسم « الجميلة آتت » - تضع على رأسها تاج
الملك الذى وعددها به فرعون الشاب !

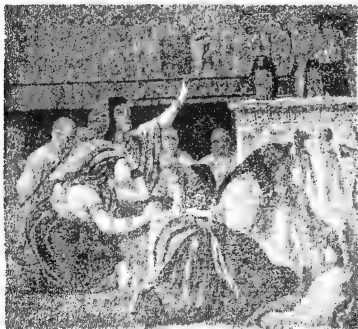
مات امنحوتب بعد أن أحدث فى مصر ذلك الانقلاب الدينى الهائل ،
واتخذ لنفسه اسم اخناتون ...

ورزق من زوجته نفرتيتى سبع بنات تزوجت الثانية منهن شاباً من
أشراف القصر يدعى توتو ...

وهو الذى عرف فيما بعد باسم توت عنخ آمون ، وتبوأ عرش مصر
بعد اخناتون !

رُؤْيَا اخِساتونَ

ای ام لا توافق ابنها علی رایہ ،
اذا أدركت أن موافقتها تضمن له
السعادة ؟



اخوان او منحوب الرابع
، الفنان فايدنباخ)

أخذ المنحوتب الرابع أمه الملكة « تى » من يدها ، وقادها بلطف الى مفعد وثير ، فأجلسها عليه ، ووقف بجانبها وجعل يخاطبها بلهجة ملؤها العطف المقرون بالاجلال ، فقال :

« - أماه ، لقد قضى الامر الآن ، وأصبحت نفرتيتى زوجة لى ، وهى فى هذه الساعة بين أيدى الوصيفات ، يطلعنها على ما ظهر وخفى من شئون الحريم فى القصر ، ويعدونها لما أردته لها من سعادة وهناء وعظمة ورفعة شأن . ويحز فى نفسى ، يا أماه ، أن تكونى غير راضية عنى وعنما ، وإلا يجد هذا الزواج قبولا لديك ، فاسمحي لى أن اطلعك على العوامل التى دفعتنى اليه دفعا ، لكى تكونى على بينة من أمرى ! ولكى تعلمى أننى ؛ قيما فعلت ، قد أصغيت الى وحيين : وحي الآلهة ، ووحى القلب !

فطبعت الملكة الوالدة على جبين ابنها الحبيب قبلة أفروغت فيها كل حنانها ، وقالت بصوت هادئ تتخلله رعشة الانفعال الشديد :

« - اعلم يا بنى انك قد احببت هذه الفتاة الجميلة الساحرة ، وأن نداء الحب قد اصم اذنيك عن سماع كل نداء سواه . ولكن يؤلمنى أن يقع اختيارك على فتاة لايجزى فى عروقتها دم ملكى فترفعها الى أوجك ، وتضع على رأسها تاج الفرعنة ، فى حين أن ملوك المشرق يتسابقون فى عرض بناتهم عليك ، ويلقون بهن بين أحضانك وتحت قدميك ! وهما هى ذى الاميرة تادوو . »

فقاطع فرعون أمه قائلا :

« - لقد أسأت الى تادوو ، وسأوقد فى الحال الى أبيها الملك دشراته الرسل والهدايا ، وأبعث اليه خطابا أبثه فيه ما تولانى من أسف وأسى ، لأضطرارى الى إعادة ابنته اليه ، بعد وصولها الى مصر قادمة من سورية ! »

« - انها لاهانة كبيرة يا ولدى ، تلك التى الحققتها بذلك الملك الصديق الحليف ! فقد طلبنا منه ابنته تادوو زوجة لك ، فأجابنا الى طلبنا، وأرسل إلينا الفتاة فى موكب رائع . وفى أثناء الاعياد التى اقمناها فى طيبة توطئة لزوجك ، واستعدادا له ، رأيناك تعرض عن الاميرة السورية ، وتقرر اعادتها الى أبيها ، واتخاذ الفتاة نفرتيتى زوجة لك . ألا تخشى . وهذا ما فعلت ، أن ينتقض عليك ذلك الملك القوى ، ويحمل ملوك الافاقيم السورية الآخرين على الانتفاض أيضا ؟

« - اذا كان الملك دشراته يفقه معنى الحب ، ويدرك مدى سلطانه على القلوب ، ويقدر الالهام الذى يهبط أحيانا على الناس من وراء الحجب .

والذى تتخذها الآلهة وسيلة لمخاطبتنا من العوالم الاخرى ، فانه لن يفضى ،
ولن ينتفض !

حدثت الملكة النظر فى فرعون ، وبدت على وجهها امارات الدهشة .
وقالت :

.. - واى علاقة للآلهة والعوالم الاخرى بهذا كله ؟

فانتصب امنحوتب بقامته النحيلة وأغمض عينيه ، وأخذ رأسه بين
يديه ، وخيل لأمه انه انتقل بفكره وعقله وبصيرته الى عالم غير هذا العالم ،
وسمعه يقول وفى صوته رنة لم تعهدها فيه من قبل :

- الرؤيا يا أماه ٠٠ الرؤيا ! لم انبشك الى الآن بما حدث ، ولم
أندرك بما سيحدث غدا ٠٠ فاسمى :

- لقد رأيت فى البقطة - لا فى الحلم - صفحة ملكى مخفورة على
جبهه الدهر بيد الاله آتون . نعم آتون ، ولا أقول آمون ! لقد قرأتها
واعدت قراءتها ، وأدركت معناها ومعناها وما كتب لى فيها من راحة
وغناء ، ونجاح وفشل ، وتأيب واستنكار . لم يقدّر لى فى تلك الصفحة
أن أتزوج ابنة ملك ، بل فتاة من بنات الشعب ، وقد تزوجتها . ولم يقدّر
لى أن أظل تحت رحمة الكهنة الذين يستغلون ايمان الشعب فيستبدون به
ويفرعون أيضا . بخجة انهم ينفذون ارادة آمون . وانى لمقدم ، اليوم
أو غدا أو بعد غد ، على عمل سوف يهز الملكة حزنا ، ويفتح أعين الشعب
للنور الحقيقى والهداية التى أريدها له ، ويجعل من مصر الحصبة ونيلها
المبارك تربة ينبت فيها الدين الجديد الذى عزمته على الدعوة اليه ، وتزدهر
فى ارجائها عبادة آتون . وسأخذ لنفسى اسما آخر غير الذى أحمله الآن :
لن ادعى « امنحوتب » بعد اليوم ، بل « اخناتون » وسأطهر النفوس من
فسادها ، والعقول من ضلالها ، والاجسام من سقامها !

سكت فرعون ، والعرق يتصبب من جبينه . ثم فتح عينيه وأرسل
الى أمه نظرة وادعة ، وأضاف قائلا بلهجة المتوسل الراجى :

- أماه !.. هذا ما أريد أن أفعله ، وهذا ما أريد أن تكونى لى عوناً
فى القيام به ، وهذا ما سأجد فى نفرتيتى المحبوبة دافعا لى فى سبيل
تحقيقه !

والقى فرعون بنفسه بين ذراعى الملكة تى ، فجعلت الام تداعب
رأس ابنها ، وتهدهده كالطفل الرضيع ، وتغمره بدواعها ٠٠٠

وأضاف فرعون بلهجة فيها تذكير وفيها عتاب :

- تقولين يا أماه : ان نفرتيتى من بنات الشعب .. هذا صحيح ..
ولكن أنت ، ألسنت أيضا من بنات الشعب ؟

كان امنحوتب الرابع ابن امنحوتب الثالث ، شخصية يحوطها
الغموض ويكتنفها الانهام . قيل انه عاش أربعين سنة ، وقيل ثلاثين

فقط . وقد جلس على عرش مصر من سنة ١٣٧٥ الى سنة ١٣٥٨ قبل الميلاد ، وكان جميلا ، متانفا ، رقيق الشموخ ، سريع التأثر ؛ مجالريته كثير العطف على الفقراء والموزرين ، صارم الرقابة على الحكام والعلماء ، واسع الاطلاع ، ملما بشئون الدولة كبيرها وصغيرها ، شديد الحذب على أسرته . وقد أحب زوجته نفرتيتي حبا قلما دون التاريخ القديم والحديث مثيلا له .

علق بها وهي ترقص أمامه ، فى حفلة أقيمت فى قصره بطيبة ، قبيل زواجه ، فاخترها رفيقة لحياته ، وأحلها محل خطيبته ، وأجلسها على العرش ، فأنجبت له سبع بنات ، أصبحت اخداهن فيما بعد زوجة لفرعون مصر توت عنخ آمون .

ولم يكن اخناتون مخطئا عندما قال لاهه : انه سيجد فى نفرتيتي دافعا له فى سبيل تحقيق رؤياه ..

فلقد اخلصت له بنت الشعب اخلاصا لم تشبه شائبة ، واقرته على ما اراد لبلاده وامته من انقلاب دينى واصلاح اجتماعى فكانت تسدى اليه النصائح والآراء ، وتعاونوه فى نشاطه المتشعب الانحاء ، وتسهر معه الليالى فى اعداد العدة لاحياط الخطط التى كان كهنة آمون يتفنون فى احكام وضعها وتنفيذها ، لتخلص من ذلك الملك الشائر على التقاليد الموروثة والمعتقدات الراسخة فى الازهار .

أعلن اخناتون ان الشمس ليست الهيا يمثل على الارض فى صورة انسان أو حيوان ، وان الاصنام التى يسجد لها الناس فى المعابد انما هى آلهة زائفة ، وأن فى العلا ربا واحدا يتجلى لعباده فى قرص الشمس ، آتون ، فينير العالم ويبدد الظلمات ، وان اخناتون ، فرعون مصر ، هو « ضياء » ذلك القرص الوهاج !

وصدرت الاوامر باغلاق معابد آمون ، وتشتتت هيئة الكهنة ، وهجر فرعون عاصمة ماله طيبة . وأنشأ لنفسه عاصمة أخرى سماها « خوت - آتون » أى « أفق الشمس » وشيد فيها القصور للأسرة المالكة ، والهياكل للمعبود الجديد ، وراح يبذل العطاء بلا حساب لأرباب الفنون من نحائين ورسميين ونقاشين لكي يتسابقوا فى زخرفة العاصمة وتجميلها ، بحيث تفوق بما يقتضيه بهاء ورونقا وجلالا .

لم تشهد مصر فى تاريخها الطويل الحافل بالحوادث الجسام ، انقلابا مثل ذلك الانقلاب الهائل ، الذى لم يتناول الدين فقط ، بل امتد أيضا إلى السياسة والادارة والمجتمع .

وكانت الاسرة المالكة ملتفة حول عبيدها ، متضامنة معه ، مؤيدة له فى أقواله وأعماله ، ولم تكن أمه « تي » أقل اندفاعا وحماسة فى ذلك من زوجته « نفرتيتي » .

وأدخل فرعون للمرة الاولى فى تقاليد الاسرة عادة لم يسبق للشعبي أن ألفها من قبل ، وهى خروج الملك فى مواكب الرسمية ، وروحاته

وغدواته الخاصة ، محوطا بزوجته وبناته • فرحب الناس بهذه الخطوة الموفقة ، التي رأوا فيها ميلا من صاحب العرش الى التقرب من رعيته ، فصاروا يحفون بفرعون وأسرته ويهتفون ويهللون !

وعمت البلاد موجة من الفرح والحبور ، واعتقد الشعب أن المستقبل لن يحمل فى طياته لأبناء مصر جميعا ، الكبار والصغار ، والاشرف والصعاليك ، غير الهناءة واليمن والرخاء •

ولكن كهنة آمون ظلوا لفرعون بالمرصاد ، وانصرفوا الى النس في الخفاء ، حتى اذا ما قصفت حياة ذلك المصلح الشاب ، وثوى فى مرقده الاخير ، خرج المصاصون من الظلام وراحوا يهلمون ما بنى ، ويمحون ما ترك من أثر !

لم يدم عهد « آتون » وضيائه « اخناتون » وافقه « خوت - آتون » غير اثني عشر عاما - عادت مصر بعدها الى ما كانت عليه ، وتم القضاء على الدين الجديد فى عهد الرجل الذى تزوج ابنة اخناتون ، واتخذ لنفسه اسم « توت عنخ آمون » •



احاط الغموض بحياة نفرتيتى بعد موت زوجها ، ولم تدلنا الآثار الباقية عن أسرتها على أى عمل أقدمت عليه ، بعد أن دالت دولتها ، ولم تعد فى القصر دبة عرش بل أما لربة العرش ، وحماة لفرعون !

وكان المنحوتب الرابع أو اخناتون قد أمر بصنع التماثيل له ولأمه وزوجته وبناته • وأدت أعمال الحفر والتنقيب - فى المكان الذى كانت عاصمته قائمة فيه ، والذي يعرف اليوم « بتل العمارنة » - الى كشف طائفة من الآثار الرائعة ، كان بينها تماثالان لفرعون وزوجته ، ورسوم كثيرة عن طرق العبادة ، وتقديم القرابين لنصر الشمس آتون •

أما تماثل الملكة نفرتيتى ، فهو آية من آيات الفن كما كانت صاحبته آية من آيات الجمال • وقد أخفى ذلك التماثل فريق من العلماء الالمانيين ، الذين عثروا عليه وعلى سواه من بدائع الفن المصرى القديم ، ثم تمكنوا بحيلة شيطانية من نقله خلسة الى بلادهم ، حيث سلموه لحكومتهم ، فعرضته فى متحف برلين وكان بين محتويات ذلك المتحف أبدع قطعة تسترعى الانظار وتثير الشجون وتدعو الى التفكير •

والراقصة المتوجة ، التى استولت على مشاعر فرعون ، وسحرت جماهير الشعب منذ أكثر من ثلاثة وثلاثين قرنا ، وساهمت فى أعظم انقلاب شهدته مصر ، واختطفت من وطنها اختطافا ، وظلت منذ بعثها الجديد ، تحير بنظراتها العقول وتخلب الالباب ، تلك الملكة التى جعلت الحب يطفى على كل اعتبار ويتبوا عرشين فى آن واحد، عرش الملك وعرش القلب ، تلك المرأة التى أرادها « آتون » رفيقة لصفيه وحبيبته ، تحترق الآن فى ديار الغربة لوعة على ماضيها ، وتنوب شوقا وحنينا الى مرتع صباها ، ومسرح عزها ، ومرقد رفاتها !

نفرتيتي، أرملة الزوجين

الملكة الجميلة الساحرة ، بكت
زوجا عرفته ، اخناتون ، وبكت زوجا
لم تعرفه لمن هو ؟



اللياقه نغري ورجه الخياطون

الموكب يسير بأقصى سرعة ممكنة، تنفيذا لأوامر الملك «سوبو الهدهما» وعملا بإشارة ابنه «سوبو الصغير» الذي يتوق للوصول في أقرب وقت إلى بصر ، حيث الملكة «نفرتيتي» الحسنة ، أرملة الملك «إخناتون» تنتظر على أحر من الجمر !

كل من في الموكب يعرف مكانه منه ، ويحرص على أن يظل النظام سائدا ، والأوامر نافذة ، فلا أحد يسبق أو يتخلف ، ولا أحد يشرذ إلى اليمين أو إلى اليسار : ثلثمائة رجل أو أكثر ، بين فرسان ومشاة ، معهم عشرون مركبة تجرها الشيران ، تحمل خمسا وعشرين من عذاري بلاد الحيثيين ، اختارهن الملك بنفسه ، ومعهن الهدايا الثمينة النادرة ، من أسلحة وحلي ومجوهرات ، وقطع من النسيج الفاخر ، وقوارير الياصيفة والعطور .

وقائد الموكب ، المشرف على سيره ، ونظامه ، المسئول عن سلامته ، يروح ويحيى بين الطليعة والمؤخرة ، ويراقب الجناحين ، ولكن بدون أن يغرب عن باله القسم الرهيب الذي قطعه على نفسه تجاه أخته ، قبل أن يفادر بلاده في طريقه إلى مصر .

اسمه «حاطوم» وهو ضابط من ضباط الحرس في قصر الملك سوبو الهوما ، وأخته «ثايشانا» وصيفة من وصيفات الملكة ، وربيبة القصر منذ نعومة أظفارها .

كل ليلة ، قبل أن يغمض عينيه ويستسلم للنوم ، يردد حاطوم بينه وبين نفسه الكلمات التي قالتها من قبل أخته ثايشانا ورددها هو وبه على صدره :

«لن يصل الأمير سوبو الصغير إلى مصر : فاما أن يعدل عن متابعة السير ويقفل راجعا إلى بلاده ، واما أن يقتل في الطريق فيجرح الموت دون وصوله !»

بذلك الوعد ربط حاطوم نفسه تجاه أخته . وبذلك الكلمات التي أقسم على العمل بموجبها ، تعهد بخيانة المهمة التي وضعها الملك أمانة في عقبه ، وهي الوصول بالموكب ومن فيه بالسلامة إلى أرض مصر .

وما تألف الموكب بأمر الملك ، إلا ليرافق ابنه سوبو الصغير إلى حيث تنتظره المرأة التي طلبته زوجا لها : نفرتيتي !

تحرك الموكب في فصل الربيع . ووقع الاختيار على الليالي المقمرة من شهر الأزهار ، ليكون السفر مريحا ، والجو معتدلا ، والنسيم عليلًا ، في النهار أو بين غروب الشمس وشرورها .

وبينما الموكب يطوى في مراحل السهل والجبل ، كان زجل

وامرأتان مستسلمين بلا انقطاع لهواجمى يتخللها الامل والرجاء والشك
والياس !

امراة فى مصر تعد الساعات ، وتتضرع الى الرب آتوون الذى تحبه،
بان يحرس الشاب القادم اليها ، والذى لا تعرفه ، وان كانت عازمة على
اتخاذها زوجا لها .

وامراة فى بلاد الحيثيين تعد الساعات مثلها ، وتصلى الى آلهة قومها
بان تقرب اللحظة التى يعدل فيها الشاب المسافر الى مصر عن متابعة طريقه،
فيرجع اليها حيا أو ميتا ، لانها تحبه ولا تريد زوجا لغيرها من النساء .

ورجل حائر بين امرين، تائه بين عهدين : فاما ان يصل بالموكب الى
مصر فيخون اخته ويسبب ياسها أو موتها من الحزن ، واما ان يقتل الشاب
الذى يحرس موكبها ويقتله ، فيخون الملك الذى وضع فيه ثقته ، واختاره
من بين جميع الضباط رائدا لابنه .

فكر حاطوم فى مخرج من المأزق وذلك بان يحاول اقتناع ابن الملك
بالمدول عن مواصلة السير والرجوع الى وطنه .

ولمن الضابط الساعة التى خطر فيها الملكة مصر الازملة أن تطلب من
ملك الحيثيين ايفاد ابنه الذى لا تعرفه الى مصر ، ليصبح لها زوجا بعد
زواجها الملك الراحل !

كانت نفرتيتى ، فى حياة اخناتون ، الزوج الملك الفيلسوف المتدين ،
أشد حماسة منه فى نشر المذهب الذى نادى به وفرضه على الكهنة فرضا ،
وتحمس له الشعب واعتنقه ، وهو مذهب الرب الواحد وعبادته فى صورة
« قرص الشمس آتوون » !

وهى التى اختارت له اسمه الجديد « اخناتون » أى « نعمة قرص
الشمس » بدلا من اسمه السابق « امنحوتب الرابع » وهى التى وفرت
له ، بحبها المخلص العميق ، وإرشادها وتفانيها وشجاعتها ، القوة الهائلة
التي كان لا بد له منها لمواجهة عناد الكهنة ، واجباط مؤامراتهم ، وإزالة
العقبات التى أقاموها فى سبيله .

تولى الملك الشاب عرش الفراعنة بمصر سبعة عشر عاما ، من سنة
١٣٧٥ الى سنة ١٣٥٨ قبل الميلاد تقريبا ، وقبل موته بسنتين ، تسرب
الوهن الى نفسه ، وتغلب فيها اليأس على الرجاء ، وأيقن أن كهنة
« آمون » سوف ينتصرون عليه عاجلا أو آجلا ، وقرر أن يهادنهم ، ولو
كان فى ذلك رجوع عن دين التوحيد الذى نادى به ، وعوده الى المذهب
القديم وطوس العبادة السابقة .

وللمرة الاولى دب الخلاف بين الزوج وزوجته ، بين الملك والملكة ، بين
اخناتون ونفرتيتى .

أبت الملكة الحسناء أن تكفر بعقيدتها . واشتد الصراع الرهيب بينهما

وبين الكهنة . ووقف الملك موقف المتردد الحائر ، فحبه لزوجته لا يزال قويا ، ولكن صحته التنداعية تجعله غير قادر على الصمود والمقاومة في وجه التيار الذي اصطنعه الكهنة وأنصارهم ، ممن كانوا يجنون الفوائد والمغانم من التجارة بالدين واستغلاله لمصلحتهم .

ولما مات الملك وهو في مطلع العقد الثالث من عمره ، وجدت نفرتيتي نفسها وحيدة أمام ذلك التيار الجارف ، وليس معها غير بناتها السبع ، من الفقيده الغالى .

ومع ذلك ، فقد ظلت ماضية في طريقها ، على أمل أن تعيد الى دين التوحيد ومذهب آتون مقامهما ومكانتهما ، في الايام المقبلة .

لكنها أدركت أنها أضعف من أن تبلغ هذا الهدف ، وقد أصبحت أرملة ، لا سلطة شرعية لها ، ولا جيش عندها تستعين به لغرض ارادتها .

ففكرت في اتخاذ زوج يحل محل الزوج الراحل ، وهذاها التفكير الى التوجه بهذه الرغبة الى الاسرة المالكة في بلاد الحيثيين ، وهي مرتبطة بروابط القرابة والرحم مع الاسرة المالكة في مصر ، فنساء الاسرتين كن زوجات للملك وأمراء وقواد في الدولتين الجارتين . فضلا عن المحالفة الهجومية والدفاعية التي كانت قائمة بينهما في ذلك الوقت .

أوفدت نفرتيتي إذن رسلا الى سوبو الهوما ملك الحيثيين . وطلبت منه أن يزوجه ثالت أبنائه سوبو الصغير ، وهو يحمل اسم أبيه ، وتعرف عنه الملكة الشاب ، أنه جميل شجاع مقدم ، وإن كانت لم تره في حياتها ، ولم تقع عليه عينها ، ولكنها شعرت بأنه الرجل الذي يمكن أن تتخذة سند لها في المحنة النفسية القاسية التي تجتازها .

هل فكرت في أن تقوم بانقلاب يجعل من ذلك الامير الغريب ملكا على مصر ليوقف بجوارها في صراعها ضد الكهنة ؟ أو فكرت في أن تنقل على يده وبفضله دين التوحيد الذي اعتنقته ووقفت له حياتها ، من مصر حيث يهدده الانهيار ، الى بلاد الحيثيين حيث قد يساعدنا الحظ لنشره ، والتبشير بمنهجه ، وحمل الناس على تطبيق مبادئه وطقوسه ؟

هذا سر حملته نفرتيتي معها الى القبر ، مع الاسرار الكثيرة التي دفنت مع الملوك والملكات في تلك العصور الغامضة .



لجى الملك سوبو الهوما نداء الارملة الحسناء بعد تردد طويل وتفكير عميق . وأوفد ابنه سوبو الصغير في ذلك الموكب الفخم الذى عهد بقيادةهم الى صغيه ومؤتمنه الضابط حاطوم .

وسبق الموكب الى مصر ثلاثة رسل ، بين منفر كل منهم وسفر الآخر ثلاثة ايام .

حملوا الى الملكة السابقة الخبر السار الذى أعاد الامل الى نفسها ،

قبانت تنتظر وصول الزوج الثانى ، وتعد العدة لعمل ما ، تقدم عليه عندما
تأزف الساعة .

وكان زوج ابنتها فى أثناء ذلك قد تبوأ العرش بمساعدةها ، وبات
حائرا بين الاحتفاظ باسمه « توت عنخ آتون » ارضاء لها ، أو تغييره باسم
« توت عنخ آمون » نزولا على الكهنة واتقاء لشهرهم !

والموكب فى طريقه ، من بلاد الحثيين ، يقترب من حدود الدولة
المصرية !

الوقت يمر ، والايام تتتابع ، والضابط حاطوم يداعب سيفه فى كل
مساء ، ثم يعمد فى كل صباح الى التحايل على سوبو الصغير ، ابن الملك ؛
لاقناعه بالعودة الى بلاده ، وبأن مشروع الزواج الذى هو قادم عليه محفوف
بالمخاطر ، قد ينتج عنه ما يضر بالاسرتين ، ويثير الحقد والتفرقة بين
البلدين .

لكن الامير الشاب لم يقتنع ، بل قرر متابعة السير ، للوصول الى
مصر فى أقرب وقت .

وقرر الضابط ، بعد أن ينس من اقناعه ، أن يغتاله تنغيذا لعهد
تجاه اخته .

لا يريد سوبو الصغير أن يرجع الى بلاده حيا ، فليرجع اليها اذن
جثة هامدة !

وعند أطراف الصحراء ، فوجئت القافلة ذات يوم بالضابط حاطوم
يعان ، عند الفجر ، أن الامير سوبو وجد مقتولا فى فراشه ، بضربة سيف
مزقت صدره واخترقت منه القلب ، وأن على كل واحد من المرافقين له : أن
يساهم فى معرفة القاتل والاقتصاص منه . وأن الموكب سيتوقف عن
السير الى الامام ، ويعود أدراجه الى عاصمة المملكة ، حاملا جثة القتيل
الى الملك !

لم يقتنع سوبو ألوما بما نقله اليه الضابط ، ولم يتردد فى اتهامه
بأنه هو القاتل ، وبأن اخته ثايشانا هى المتحرضة له على اقتراح جريمته .

وأمر بأن يقتل حاطوم بضربة سيف تمزق صدره وتخرق قلبه ، كما
قتل هو الامير الشاب الذى عهد اليه بحراسته .

واعترفت الاخت بالحقيقة . ولكن هذا لم ينقذها من الموت أيضا .
فقد أمر سوبو ألوما بوضعها فى كبس والثأثها فى بئر !

وبكت الملكة نفرتيتى زوجها الثانى الذى لم تعرفه ، بعد أن بكت
زوجها الاول الذى ذقت معه السعادة والهناء .

وبكت أيضا آمالها وأحلامها * وحفرت الدموع آثارا عميقة على
الخددين الناعمين ، خدى أجمل ملكة جلست على عرش ، منذ أن وجدت
العروش وتبوأتها النساء !

فكانت نفرتيني ، ربة الحسن فى عصرها وفى جميع العصور ، أرملة
دمرتين !

ومامت حزينة كئيبة ، فى الثانية والعشرين من العمر *

سیتی والیتیمہ الحسناؤ

تیتیم ثلاث مبرات ...
وابت ان تتزوج ...
ودفنت نفسها حية في قصر ...



... ونفل جنمان فرعون المحتفظ
من ضلعة الى اخرى ...

الخبر الذى جعل القوم يفرحون ويتنادون للاجتماع ، هو ان فرعون مصر سبى الاول قادم على رأس جيش لجب ولتأديب العصاة فى اطراف مملكته وملحقاتها ، وأنه يقترب من معاقلم فى زحف رهيب . لقد دب الرعب فى نفوس الخارجين على طاعته . ففرت قبائل « شاسو » نحو الشمال ممزقة الشمل لا تلوى على شيء ، والتحقت بحلفائها من الاموريين والخبيريين وهم العبرانيون . والفريق العاصى من سكان روتينو ، وكل هؤلاء ينفون الصمود ومواجهة الجيش المصرى الزاحف . فى المرتفعات الجنوبية من جبال لبنان ، محتمين بها ، على أمل ان يصل حلفاؤهم الحيثيون من الشمال لشد أزهم ودفع الخطر الداعم عنهم .

اولئك الهاربون الفارزون هم الذين تستمد العشيرة اللبنانية الصغيرة ، وانسابها القادمون لنجدتها من ربوع دمشق وهضابها ، للانتقام منهم . والثار لما سفكوه من دماء رجالها . ولمساقوهم سبائا من نسائها وبناتها .

وقعت تلك المذبحة فى عهد رمسيس الاول عندما تحالف الحيثيون مع اولئك الاقوام لمهاجمة مصر ، فرفض ملوك الثغور الفينيقية أن ينضموا اليهم ، ونسجت على منوالهم العشائر الضاربة فى الجبال والوديان بين الساحل ومدينة دمشق ، ومن بينهما العشيرة التى يودها « رانو » والنائلة فى القابة الواسعة ، عند منابع الاردن .

فوجئت العشيرة ذات يوم بهجوم جيرانها عليها ، انتقاما منها لانها خذلتهم ، وبالرغم من النجدة التى تلقتها من اصدقائها فى الساحل والداخل - غلبت على امرها ، وانصرف عنها المعتدون دافعين امامهم جميع النساء والعذارى سبائا ذليلات . بعد ان قتلوا معظم الرجال وفر الباقون هائمين على وجوعهم فى خفايا الجبال .

خمسون رجلا او اقل نجوا من تلك المجزرة ، ولم تبق بينهم غير فتاة واحدة هى « حانيت » ابنة « رانو » الوحيدة ، التى سقط ابوها فى المعركة ، وسقط حوله اخوتها الاربعة ، وانتحرت امها على جثته !

تلك البقية الباقية من عشيرة رانو هى التى فرحت وهللت ونحرت اللبائيم ، يوم بلغها خبر قدوم الجيش المصرى بقيادة فرعون متجها الى الشمال ، أى الى مقر العشيرة ومقرها .

وحشد اعداء فرعون فى النهاية جموعهم عند بلدة بانوحام النامية الحصينة عند سفوح لبنان الجنوبية وهناك دارت المعركة الفاصلة . والى هاك وافى فرعون سبى حلفاؤه من الفينيقيين القادمين من الساحل ، وابناء العشائر الوافدين من ضواحي دمشق ، وانسابهم

الهابطين من اهالى الجبال او النافرين من بطون الوديان ، وهم الذين عرفهم قدماء المصريين باسم « لبنانو » (١) .

وكان فى مقدمة الملبين لداعى الثار والانتقام ، الرجال الباقون من عشيرة رانو ، وفى طليعتهم الفتاة الوحيدة ، احنيت ، ابنة الزعيم الراحل .

كانت المعركة دموية فاصلة . قادها سبتى الاول نفسه فى جميع مراحلها ، التى استمرت من شروق الشمس حتى غروبها . وقد منى فيها اهداء فرعون بهزيمة منكرة ، فتكدست اشلأؤهم فى الميدان ، وهربت خلولهم تطلب النجاة فى المسالك الوعرة ، وبقي فى قبضة الجيش المنتصر عدد كبير من الاسرى .

حاربت عشيرة رانو وفتاتها الباسلة بشجاعة وايمان ، مبعنهما الرغبة فى الثار والانتقام أولا . والولاء لفرعون ثانيا .

وشكر سبتى الاول حلفاءه على نجدهم . وهنأهم على بسالتهم ، وطلب منهم ان يعودوا الى موطن اقامتهم . مطمئنين على سلامتهم ، غير قلقين على غدهم .

وتقدم منه كبارهم ورجوا منه ان يتقبل منهم هدية من نبت ارضهم واثنا ج تربتهم ، تكون لديه دليل اخلاصهم وولائهم .

فقبل فرعون ما عرضوه عليه .

والقى رجال العشائر اسلحتهم ، وحملوا فتوسهم ، وانطلقوا فى الجبال يقطعون الاشجار كبيرة وصغيرة ، ويفصلون الاغصان عن الجذوع والجلود ، ويهدبونها ويصقلونها ، ويحملون ذلك كله الى فرعون . ولما هم الجيش بالتحرك عائدا الى مصر بجموع الاسرى واكداس الاسلاب ، تقدمت الفتاة حانيت ، وطلبت من فرعون ان يسمح لها بان ترافقه مع بنى قومها . او على الاصح مع من بقى منهم حيا بعد المعركة ، وان يتولى رجال العشيرة حراسة الهدية التى قدموها الى سبتى الاول

اكوام محزومة بالحيال ، من جذوع الارز الصلب ، والسمنديان الضخم ، والصنوبر المشوق ، ورزم منسقة من افنان النسرين والريحان ، والاعشاب الطبية ، ولعبدان العطرة ، والازهار المجففة : ذلك هو نبت الارض واثناج التربة ، وتلك هى الهدية التى حملها أبناء العشيرة الوفية وحرسوها فى الطريق ، وهم ذاهبون الى مصر مع الجيش العائد اليها ، ظافرا متصورا ...

فى مصر ، اصر الباقون من عشيرة رانو على ان يلحقهم سبتى الاول بصوف جيشه ، لكى يساهموا فى الحروب الآتية ، كما ساهموا فى لحرب التى انتهت بمعركة ياتوحام . فاجابهم فرعون الى رشتهم .

(١) لبنانؤهم اللبنانيون - سكان جبل لبنان

وأرادت فتلهم ابنة رائو أن يكون مصيرها كمصيرهم : ولكن سیتی الاول رفض أن يحقق لها تلك الرغبة ، وقال: إنه خير لها أن تبقى في قصره ملازمة لزوجته « تولى » وأنه يشملها برعايته ، ولكي تجد في كنفه وفي كنف الملكة ، ما فقدته من حنان الأب والأم ، بعد الكارثة التي حلت بالعشيرة في عهد أبيها .

ورضخت حانیت لارادة فرعون . والتحققت بخدمة الملكة ، واستحوذت على عطفها ، وأصبحت أقرب الوصيفات الى قلبها .

واستأنف سیتی الاول حروبه وغزواته ، في الشرق والغرب والجنوب . ولما استقر له الامر وأطمأن الى سلامة الملكة وحدودها من هذه الجهات الثلاث ، تطلع الى الهدف الاكبر الذي وضعه نصب عينيه منذ أن خلف أباه على العرش ، وهو اخضاع الحيثيين في أقصى الشمال : ووقفهم عن مواصلة عدوانهم على اطراف الاقاليم الاسيوية من الدولة المصرية .

زحف بجيشه مرة أخرى ، في الطريق الذي سلكه من قبل الى مواطن الشاسو وحلفائهم ، ووجهته في هذه المرة أبعد منها في المرة السابقة . ودارت رحى معارك جديدة بينه وبين ملوك الحيثيين والشعوب التي التفت حولهم ، وأنتهى ذلك الصراع العنيف بعقد معاهدة صلح بين مصر وبلاد الحيثيين « تعد أول وثيقة من نوعها في التاريخ

وبعد عودة سیتی الاول الى بلاده ، لبشر شعبه ببده عهد جديد بسوده الوثام والسلام كان يحمل معه للفتاة اليتيمة التي تركها في قصره ، خبراً جعل الدموع تنفجر من عينيها الواسعتين ...

لقد مات جميع أبناء عشيرتها في خلال تلك الحملة الشاقة . ماتوا موت الابطال ، في ميادين القتال ، فكانوا شجعاناً أوفياء الى آخر نسمة من حياتهم

أصبحت حانیت يتيمة مرة أخرى : لم يبق لها احد من قومها على قيد الحياة ! .. العشيرة كلها انقرضت !

وبقيت فتاتهم وحيدة في العالم !

لكنها وجدت العزاء على ما حل بها ، وعلى الاحزان التي عانتها ، في العطف الذي غمرها به فرعون سیتی وزوجته تولى .

مرت الاعوام والفتاة تعيش في القصر وتلازم الملكة وتتفانى في خدمتها ...

اعوام ذاقَتْ فيها مصر حلوة السلم ورغد الهدوء . وانصرف خلالها سیتی الاول الى تشييد المعابد والهياكل ، وحفر تاريخ فتوحه ومآثره على لوحات من الحجر نصبت في جميع أنحاء الملكة ، وخص بجزء كبير من اهتمامه « المقبرة التي اعدّها لنفسه ، لتكون مأوى جسده بعد موته ، ومرتع روحه في العالم الآخر :

واستخدم فرعون في تلك المنشآت العظيمة ، أخشاب الاشجار
التي قطعها له سكان الجبال ، بعد معركة يانوحام ، وجاءوا بها مع
جيشه عند عودته الى مصر .

حاول الملك المحظوظ ، الذي ضحك له السعد في أيام الحرب
وأيام السلم على السواء ، أن يقتنع الفتاة اليتيمة الحسنة بأن تزوج
ضابطا من ضباط جيشه ، الذين حاربوا معه في بلادها ، وأن تختار
بنفسها ذلك الزوج الذي يرجوه لها . وتعيش في هناء وسعادة مع رجل
يخصها بحبه ، ويشملها بحمايته ، فتبادل الحب وترعاه بعنايتها

لكن حانث رفضت : ان أملاها الوحيد في الحياة ، والهناء الذي
تطمع فيه ، والسعادة التي تتوق إليها كل هذا مفرغ في أمنية واحدة ،
وهي أن يمتد العمر بفرعون ، وأن تبقى هي ساهرة على راحة زوجته !
لم يمتد العمر بفرعون !

فقد تبوأ عرش مصر أقل من عشرة أعوام من سنة ١٣١٣ الى
سنة ١٢٩٢ قبل الميلاد .

ومات قبل أن ينتهي المهندسون والعمال من اعداد المقبرة التي
سيدفن فيها ، وقد وضع جثمان فرعون في تابوته ، بعد تحنيطه ،
والعمل في انجاز المقبرة لا يزال جاريا على قدم وساق ...

ويوم نقل الجثمان المحنط على مركب الجنازة ، من ضفة النيل
الى الضفة الأخرى ومن حوله النساء الناديات ، نهضت من بينهن
حانث اليتيمة ، وتناولت من طيبات ثوبها خنجرا عارى النصل ،
فاجتزت به شعرها المسترسل على ظهرها . وألقت خصلاته الطويلة
السوداء على النعش الذي ضم الجثمان العزيز !

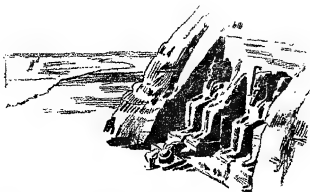
تلك هي التقاليد السارية في البلد الذي جاءت منه ، والتي تعبر
بها المرأة أو العذراء عن حزنها ، وتقطع على نفسها عهدا ، قبل موارة
الميت في قبره ، ألا تتخذ من بين الرجال زوجا ، ولا ترفع صوتها
بالغناء ، ولا تشارك رفيقاتها في افراحهن ومسرراتهن

ودفنت حانث نفسها حية في قصر فرعون . وقد شعرت بأنها
قد أصبحت ، بعد موته يتيمة للمرة الثالثة !

وقضت بقية حياتها منزوية في حمى تولى ، زوجة فرعون الراحل ،
سيثي الاول ، وأم فرعون الجديد ، رمسيس الثاني .

عرائس النيل

تكتاف العالم بأسره لانقاذ معابد أبي
سنبل من الغرق في مياه « السد
العالي » .



مدخل المعبد في ابي سنبل

« من أجلك خلقت بلاد خيتا ، لكي تجعلها تابعة لتقصرك ، وأوحيت الى أهلها بأن يسعوا اليك من تلقاء انفسهم ، حاملين الى ذاتك الملكية جزية رؤسائهم . وفي طليعة الموكب ابنة ملكهم ، لادخال السرور الى قلب جلالتك . انها تحفة رائعة . جاءت اليك بدون أن تعلم أنني اتخذتها اداة لارضائك » .

هذه العبارات ، خاطب بها الاله القدير ابنه وحبيبه رمسيس الثاني فرعون مصر ، فسجلتها ايدى النحاتين باللغة الهيروغليفية ، على أحد جدران المعابد المحفورة في جوف الجبل ، على ضفة النيل المبارك ، في المكان المعروف بأبى سنبل ، ببلاد النوبة .

رفع رمسيس الثاني الى اللروة مجد مصر الخالدة ، فخلد الفنانون ذكراه في لوحاتهم المنقوشة ، وصورته في تماثيلهم المنحوتة في الصخر الاصم ، واحتضنته آلهة مصر ، فكان حبيبها المفضل في حياته وفي مماته !

وابنة ملك خيتا - وخيتا هي بلاد الحثيين - التي جاء ذكرها في اللوحة الهيروغليفية ، كانت هدية من الالهة الى ربيبها فرعون ، لكي يضمها الى زوجاته .

كان الملك خايتسارو - أو خاتوسيل كما يسميه قدماء المصريين - أشد أعداء مصر عنادا ، وأبعد خصوم فرعون طموحا ، وأوسع الملوك سلطانا وجاها وقوة ، في البلدان الممتدة الى شمال مصر وشرقها

جمع حوله شعبه والشعوب المجاورة وتحدى رمسيس في مطلع ملكه ، فمضى اليه فرعون ، واصطدم الفريقان في معركة « قادش » ثم في غيرها من المعارك ، وانتهى الامر بمعاهدة صلح وقع عليها رمسيس وخايتسارو ، في سنة ١٢٧٨ قبل الميلاد ، فكانت فاتحة عهد سلام ورخاء في الشرق ، دام نحو نصف قرن ، انصرف رمسيس في خلاله الى تحقيق مشروعاته العمرانية في طول المملكة وعرضها ...

وبعد أن حل الوباء محل الخصام بين فرعون مصر وملك الحثيين ، أراد خايتسارو أن يوجد رابطة رحم مع رمسيس ، فأرسل اليه كبرى بناته ، في موكب يضم الفرسان والمشاة والعبيد والجواري ، تتقدمه الفتاة العذراء ، وتتبعه العربات المملوءة بالطنافس والتحف والاسلحة الغالية والاقمشة المزخرفة ، هدية الى فرعون

تقبل رمسيس الهدية ، وأنزل العروس ابنة الملك الحليف منزلة خاصة في قلبه ، وسمّاها « ماتنيفرورع » ومعنى هذا الاسم « المرأة التي ترى جمال رع ... »

وطلب من شاعرة « بنتاءور » الذي تغنى بانتصارات الجيش

المصرى وفتوحه ، أن يصف جمال الزوجة الحسنة في قصيدة
ينشدها المنشدون على أنغام الموسيقى ، قلبى الشاعر أمر مولاه ، وخص
« القمر القادم من الشرق ، المظلم من فوق الصحارى ومن وراء الجبال
... » بآيات دونها الخطاطون في أوراق البردى ...

حكم رمسيس الثانى ميامون - اى حبيب آمون - البلاد المصرية
وهو ولى عهد ابيه سبتى الاول ، وتولى العرش فى الثامنة عشرة من
العمر ، ومات فى الخامسة والثمانين بعد ملك دام سبعة وستين
سنة ! ...

لكنه ترك أيضا للإحقاب الآنية أضخم إرث خلفه ملك فى التاريخ ،
ومجموعة من الآثار الباقية على كثر الزمن ، يقف أمامها الإنسان مذهوша
مذهولا خاشعا !

على مقربة من شلالات النيل فى بلاد النوبة ، حفرت الأيدي
المصرية لفرعون سلسلة من المعابد فى قلب الصخور ، ونحتوا له أربعة
تماثيل هائلة الحجم ، تحرس الباب الرئيسى وتدعو الزائرين الى
المشول ...

وفى جوف الجبل ، ممرات وسرايب وقاعات ، تصطف الى
جوانبها تماثيل الآلهة ، وتحمل سقوفها الأعمدة المشوقة ، وتحكى
لوحاتها تاريخ ذلك العهد انزاهر ، بما تخلله من حروب ومعارك وغزوات
وفتوح وانتصارات ، وما امتازت به إدارة الدولة العظيمة من دقة
وعدل واحكام . وما تمتعت به البلاد الخاضعة لفرعون من عيش رغد
ورخاء وازدهار ...

وخص رمسيس الثانى كل رب من الارباب ، الذكور منها والاناث ،
الآلهة والالهات ، بركن من المعابد المتتابعة ، وهياكل لحرق البخور
ونحر الذبائح ، وحجرات تأوى الكهنة وخدمات الارباب من النساء .
ومخازن للأواني المقدسة وادوات العبادة المشبعة بالعطور ...

وكان فرعون يقوم برحلات منظمة الى تلك المعابد النائية ، فى
أطراف مملكته ، وحوله عظماء البلاد ومعاونوه فى حكمها وإدارتها ،
والآلاف مؤلفة من رعاياه ، فى جموع تملأ الأرض على ضفاف النهر
العظيم ، أو تنتقل بالمرآكب والزوارق على صفحة الماء ...

فى يوم من الايام ، تقدمت الملكة مانتيفرورع الى زوجها وسيدها
بطلب لم يتردد فرعون فى اجابته ، ارضاء للزوجة المحبوبة ، وتحقيقاً
للرغبة التى افضت بها اليه ، فهو لم يرفض لها فى حياتها طلباً ، ولم
يصد لها رغبة ...

قالت مانتيفرورع :

- في القصر أيها المولى العزيز القدير ، رسول من لدى أسرتي ، في بلاد الحيثيين حلفائك ورعاياك ، والرسول جاء يعرض على مسامعتك ويطلب مني أن أقوم بالوساطة بينك وبينه - يعرض رغبة الأسرة المالكة هناك ، في إفاد عشرين عذراء من بنات الحيثيين ، الى عاصمة ملكك ، هدية من الشعب الذي انتمى اليه ، الى أسرة الملك الذي خصني بعطفه وغمرني بنعمته ، فهل تقبل الهدية اليوم ، كما فعلت من قبل يوم ارتضيتني أنا هدية اليك من أبى خايتسارو ؟ فالعذارى العشرون راغبات في أن يشملهن عطفك كما شملني ، وفي أن تصبح كل منهن ملكا لمن تختاره لها من أبنائك او من الشبان الذين يستحقون منك لفظة خاصة ! .. والرسول في انتظار الرد ، ليحمله الى أسرتي في البلاد التي جئت منها لتنفيذ الأسرة أمر فرعون !

فطبع رمسيس الثاني على جبين الزوجة الطيبة قبله صامته ، دلت على قبوله ورعاها ...

وما مرت أسابيع حتى كان الموكب في طريقه الى مصر ، يقطع السهول والجبال والأنهار ، كما قطعها موكب آخر ، في الماضي ووصل ابنة خايتسارو الى حليقة فرعون .

بنات انتقاهن اهل مانتيفرورع من بين الغيد الحسان في وطنهن الاول : سمراوات وشقراوات . طويلات وقصيرات معملات الاجسام ونحيفاتها . فبين من كل نوع من أنواع الجمال ، ومن كل لون من ألوان الحسن ، نموذج او أكثر وعلى نحوهن وفي اعتنائهن وحول زودهن كل ما تمكنت ايدي الفنانين الحيثيين ان تصنعه وتنفغن في صنعه من حلى تختلط فيها الحجارة الكريمة بخيوط الفضة والذهب !

اوصى فرعون زوجته الحيثية بأن تكرم وفادة العذارى من بنات جنسها ، وان تدعوهم الى رحلات بوية ونيلية ، لكي يشاهدن ما في مصر من غرائب ، ويعرفن كل ما يجب ان يعرفنه عن البلاد التي اصبحت وطننا ثانيا لها ، كما اصبحت من قبل وطننا ثانيا لها هي واعدت مانيتفرو رع العدة لتحقيق ما اوصى به زوجها فرعون ...

وكان اول مافكرت فيه . ان تصحب الحسان الى المعابد القصبية في اعالي النيل عند شلالاته ، وأن تقيم معهن اناما في داخل تلك المعابد الغريدة في نوعها ، وتلقنهن العبارات التقليدية المقدسة ، التي ينشدنها الكهنة وترنم بها خادما الهياكل ، في صباح كل يوم .

زارت العذارى الحيثيات معابد الالهة . وأنشذن الاناشيد ، واصغين الى الانغام الساحرة ، وحضرن الحفلات الدينية التي اقيمت من اجلهن في ذلك المكان المقدس ، ورفعن الى الارباب في مقرها المجهول آيات الشكر على ما اقدقه فرعون عليهن من صنيع حسن . وجاء الموعد المحدود لعودتهن مع الملكة من حيث اتين ، بعد انقضاء اسبوعين على اقامتهن في تلك الربوع ...

عهدت مانيتفرو رع الى قائد القافلة بأن يخرج بالعذارى في نزهة

الوداع ، وقالت انها راغبة في قضاء يومها كله داخل المعبد . في عزلة عن الناس ، وفي مناجاة الالهة ! التي استجابت لها وحقت امانيتها وجعلت منها امرأة موفورة الكرامة والسعادة ...

دخلت ماتيفرورع المعبد . وخرجت الفتيات العشرون في مركب واحد ، زحف بهن على ظهر انيل ، وارتفعت في الجو اصواتهن بالفناء والتهليل ، وامتزجت انغامهن بالضحكات البريئة العالية ، وخيل اليهن ان الدنيا كلها تضحك في وجوههن !

وحدث ما لم يكن أحد يحسب له حسابا ، وما لم يعرف أحد فيما بعد له اسبابا !

هل اخطأ البحارة في قيادة المركب وادارة دفته ؟ هل اصطدم المركب بصخر تخفيه المياه ؟ هل كان في قاع المركب ثقب لم يغلظ اليه المسئولون عن صيانهه ؟ هل ادت تحركات العذارى الى اختلال التوازن ووقوع الكارثة ؟ سر ظل مجهولا ولا يزال ...

تبدلت الاغاني والانغام والانشيد ، فتحولت الى صيحات رعب وفزع ... وانقلب المركب بمن فيه ... وابتلعت المياه اجسام العذارى !

عبثا حاول البحارة ومن أسرع من الناس الى النجدة ، أن ينقذوا الغريقات البائسات : لم ينشلوا غير جثث فارقتها الحياة !

وهولت الملكة من داخل المعبد الى حيث الصياح والعيول ، ووقفت مدعورة مرتعشة ، تنظر الى الكارثة المروعة !

عشرون فتاة عذراء ، اودت ماتيفرورع أن تجعلهن عرائس لعشرين من أبناء فرعون أو أبناء من يصطفقهم ، فاذا بانيل يخطفهن ويجعل منهن عرائس له !

هل غار النهر المقدس من البشر ، فعمد الى ابتلاع العرائس اللواتي جيء بهن من بلاد الحيثيين ، فحملهن من قصر فرعون ضاحكات فرحات ، وأعادهن الى القصر هامدات صامتات ؟ رجعت الملكة ماتيفرورع بالمركب من حيث اتت بها . ومعها جثث العذارى تفمرها الازهار والرياحين !

العرس تحول الى ماتم ... وموكب الفرح تحول الى جنازة ! وتأثر فرعون مما حدث ، فامر بأن تدفن العذارى الحيثيات في مكان واحد ، وأن تندبهن النادبات ، وتنوح عليهن النائفات ..

وأوفد الى بلاد الحيثيين رسلا يحملون منه التعزية الى اسرة الملكة ماتيفرورع، ومعهم الهدايا والهبات ، عملا بالعادة المتبعة في الافراح والاتراح على السواء ...

وضاعف عطفه على الملكة المحبوبة ، لكي ينسيها ما اتتاها من اضطراب ، وما خفق به قلبها من حزن على بنات قومها اللواتي حرما النيل اياهن ، وحرم اياهن أيضا عشرين من شبان مصر وفتياتهن .

وقال فرعون :

- الحياة جميلة إنتها الحبيبة ... والحزن لا يدوم ...
والنسيان في طبيعة الإنسان ... وسوف اطلب من أسرتك ه هناك في
بلاد الحيثيين ، أن توفد إلينا بدل العشرين من العذارى ضعف هذا العدد
منهن ... لكي تحل القادعات محل الفارقات ، تنسينا بضحكاتهن
ما سببته الكارثة المؤسفة من دموع تساقطت من عينيك الواسعتين !

وجاءت من بلاد الحيثيين عذارى أخريات . رائعات الحسن
مثل السابقات . فأهداهن فرعون رمسيس إلى أصحاب الحظوة
لديه ، زوجات حليلات ، وعرائس حللن في قلوب الأزواج محل العرائس
اللواتي حرّمهم النيل إياهن ، في غضبة من غضباته ، وثورة من ثوراته !

نحن السابقون

طاف المصريون والفينيقيون حول القارة
الافريقية للمرة الاولى في التاريخ ... ووصلوا
الى عالم جديد عرف فيما بعد باسم «امريكا»



البحارة الفينيقيون في رحلاتهم البعيدة

أقيمت الزينات في مدينة منف ، وجعل الناس يجوبون الطرقات والأزقة والميادين ، وبأيديهم المشاعل ، ينشدون ويهزون ويرقصون ، ابتهاجا بالنصر المبين الذي أحرزه نخاو الثاني ، فرعون مصر ، على دولة اليهود في أرضها ، فززع أركانها ، وهزم جيشها في معركة ماجدو ، وترك ملكها قتيلا مضرجا بدمه ، وعاد الى عاصمته ، معززا ، مكرما ، على رأس جيشه الباسل المظفر ، وكان ذلك في سنة ٦٠٩ قبل الميلاد .

دامت الافراح والاعياد عشرة أيام بلياليها ، أطلق الشعب المصرى فيها لمرحه العنان ، وجدد فيها العهد نليكه كما جدد فيها العهد لشعبه ، بأن يعمل الجميع يدا واحدة لخير مصر ، والنهوض بها من كبوتها ، والعودة بها الى سابق عزا ، ومجدها ، وسوددها .

خلف نخاو الثانى اباه بسامتيك الاول على عرش مصر ، وأقسم ان يواصل السير في الطريق التى شقها أبوه العظيم ، الذى طهر أرض الوطن من الآسيويين الفزاة أعداء الوطن ، ولقد بر بالقسم فكانت نهضة مصر في عهده رائعة شاملة .

وما عاد حتى جمع كبار رجال الدولة حوله في قاعة العرش الفسيحة ، فاطلموه على ما حدث من أمور في غيبته الطويلة ، وما حققوه من مشروعات عمرانية ، ونفذوه من أوامر أصدرها اليهم قبل نهوضه لمحاربة اليهود وحلفائهم فى أرض فلسطين . فآقروهم على ما فعلوا ، وأفضى اليهم بما يريد منهم أن يفعلوه فوق ما فعلوا في سبيل مصر وعرشها وشعبها .

وانصرف نخاو برجاله الى الإصلاح الداخلى ، بعد ان تم له تأمين الحدود من الخطر الخارجى .

دخل الحاجب على فرعون يقول :

— مولاي . ان الضيوف الفينيقيين الذين وصلوا الى منف قادمين من الشرق ، لا يزالون مقيمين في القصر ، وهم يرجون الثول بين يديك . فاجاب فرعون على الفور :

— على بهم ! .. لقد نسيت أولئك الاصدقاء الاوفياء ، الذين لحقوا بى من مدينة صور الى ميادين القتال . فقد شغلتنى عنهم المعارك ، وكنت طلبت اليهم أن يسبقونى الى مصر . فاهلا وسهلا !

وفتح فرعون ذراعيه مرحبا ، عندما ظهر بباب القاعة رجلان وامرأة ، هم الضيوف الذين حدثه عنهم الحاجب :

— أهلا بك يا عبد بعل يا أمير البحار ، وبك يا ساتكون يا أمهر الملاحين ، وبك أيضا يا ميليت ، يا سيده قارثت القيب ! .

وتقدم الضيوف الثلاثة من نخاو وحيوه تحية بلادهم ، فرفعوا أيديهم فوق رؤوسهم ، وأعادوها الى صدورهم ، وقال كبيرهم عبد بعل :

— نهنتك بالنصر يا فرعون . لقد سيقناك الى هنا ، ولم نضيع الوقت سدى ، فاعدنا في غيبتك العدة للقيام بالرحلة التي حددناك منها ووافقت عليها .

— لا ازال عند وعدى يا عبد بعل ، وسوف تبحرون على سيفنكم باذن الالهة بعد ايام .

ثم التفت نخاو الى المرأة الفينيقية التي سماها « سيدة اقارئات الغيب » وقال :

— وانت يا ميليت . . اما زلت مصممة على الرحيل معهم فوق الامواج ؟ ام انت تفضلين الان البقاء عندنا ، حيث تتبارين مع العرافين الجبريين في تمزيق الحجب عن المستقبل المجهول ؟

فاجابت العرافة الفينيقية بصوت عذب ورنان :

— انا ابنة عبد بعل وزوجة سائكون ايها المولى ، فاسمح لى بان ارافقهما في رحلتهما الشاقة ، فانهما سيحتاجان الى فى تتبع حركات النجوم وسير الكواكب ، وفي السهر على راحتهما . ان البحر موطن الفينيقي الاصيل . . ومكان الفينيقية الى جوار بعلها ! ساسافر .

— اذن على بركة الالهة ايها الاصدقاء !

كان القائد البحرى الفينيقي عبد بعل . وهو من أبناء صور ، قد اقنع فرعون مصر ، نخاو الثانى ، بان يحشد عمارة من السفن الفينيقية ، ويبحث بها على ظهر البحر فى رحلة طويلة ، لكشف سواحل القارة السوداء كلها ، بالطواف حولها ، وعنى بالقارة السوداء افريقية ، وكان البحار الفينيقي يؤكد لعاهل مصر ان تلك القارة ما هى الا جزيرة كبيرة مترامية الشواطىء والاطراف ، وان فى استطاعة السفن ، اذا ما تسلم قيادها ربان ماهر ، ان تدور حولها وتعود ثانية الى الموانئ المصرية من الجهة المقابلة .

واقنع فرعون ، فامر باعداد السفن اللازمة لتلك الرحلة البعيدة المخوفة بالمخاطر ، وتوكل على الالهة وعلى اصدقائه الفينيقيين فى القيام بها على احسن وجه .

وقابل ضيوفه الثلاثة قبل رحيلهم بيوم واحد ، و تمنى لهم النجاح والتوفيق .

وبخاطب ميليت العرافة قائلاً :

— سوف نحزم تكهناتك يا ميليت ، فرودينا منها قبل الغواقة !

فاجابت العرافة بصوتها العذب الودان :

— سمعا وطاعة ايها المولى ، لا يد من تزويك منها قبل الغراق ، فمن يدرى ؟ لعله يطلع علينا من اعماق الظلمات ما لم يكن فى الطيبان ، فالقى تحتى .

ثم جلست ميليت القرفصاء ، وجعلت رأسها بين يديها واقرعت في الضمت ، حتى خيل للناظرين اليها انها فقدت الحركة . والاحساس ، وجعل العرق يتصبب من جبينها ووجها وعنقها ، واخيرا رفعت رأسها ، وانبعثت من بين شفتيها تضرعات خافتة لالهة بلادها ، ثم اتجهت الى قبريها وقالت :

— ايها المولى ! لقد امرت رجالك بان يعيدوا حفر القناة التى سبق لسلفك العظيم سيمتى الاول ان حفرها فوصلت ما بين البحرين ، الابيض والاحمر ، مارة بالبحيرات المالحة ، وانى ارى ، من وراء حجاب الغيب ، ان في عملك هذا ما قد يجلب الضرر على مصر ، فان حفر هذه القناة ، ووصل البحرين ، سيعود بالفائدة على الفريب دون القريب ، وعلى الاجنبى دون الوطنى . انك اليوم تتقاضى الرسوم على مرور الناس والبضائع فى ارضك ، وتحكم فى مصر البضائع والناس . اما غدا ، اذا فتحت بين البحرين طريقا يسلكه الجميع فقد تفقد سيطرتك على البضائع والناس ، وقد تجعل للخطر منفذا الى قلب بلادك . فيحق الالهة وبحق الوطن عليك ، مر بوقف العمل ، وكف عن مواصلة الحفر ، فلا كانت قناة ولا كان اتصال !

دهش نخاو لتوارد الخواطر بين العرافة الفينيقية ميليت ، والعرافة القرطاجية كيرا ، وهى ابنة الكاهن زنجارا ، وكانت قد نزلت من قبل فى ضيافته ، وقرأت له فى صفحة الغيب ، وحلبرته اغادة فتج الطريق المائية بين البحرين . وها هى ذى عرافة اخرى ، جاءت من فينيقية ، تقرأ فى صفحة الغيب ما قرأته القرطاجية فيها ، فتتردد الاخرى على مسامع فرعون ما قالته له الاولى !

فقال نخاو :

— جاءنى تحذير سابق يا ميليت ، وعملت بنوحيه : فقد امرت بالكف عن مواصلة الحفر . واثنت على حق فيما تقولين . فلا كانت قناة ولا كان اتصال قد يجلب على مصر الاضرار ، ولو احتمالا !

— قد يستأنف الحفر غيرك فى مستقبل الايام ، ولكن الخسران سيصحب ذلك العمل ، والندامة سترافق صاحبه . وعندها سيدركك الناس وسيحمدونك !

— ولكن حدثيني عن رحلة الغد ، هل سيقدر لها الفوز ؟

— نعم . ستتم الرحلة على خير ما يرجى . غير انى لا اضمن ان يعود الكل منها سالين . لقد قمنا من قبل ايها المولى بن حلات ابعد من هذه ، واكثر مجازفة . وقضيتنا فى رحلتنا الاخيرة ستة شهور ، فوق المحيطات الشاسعة . لا نرى غير السماء ونجومها ليلا ، والمياه الزرقاء وحيتاتها نهادا ، حتى يلفنا فى النهاية شواطىء جزيرة هائلة مهيمنة ، تغرب الشمس فيها بعد شروقها عندنا بيوم كامل ، تختلط برتبها بالذهب ، وتغطي ارضها الغابات ، وتجرى فيها انهار تحاكي النيل هائلة وجلالا . ثم هذا نحن وبمى هناك منا رفاق ، وبمى لا نتصل بهم

بعد اليوم أبدا . وقد يبدون في ذلك العالم الجديد بدور أمة ،
وينشئون دولة ، كما فعل مواطنون لهم من قبل في بقاع أخرى من
الأرض شرقا وغربا . وسيتأى في مستقبل الأيام من يكشف عن تلك
الأرض البعيدة من جديد ، فيجد فيها سلالة أولئك الرفاق .. الذين
شقوا الطريق الى أقصى الغرب ، فسبقوا اليه ، وسيكون لهم من بعد
ذلك أيها المولى لاحتون !

— انك تبثين الأمل والثقة في نفوسنا يا ميليت !

— ان السفن التى تبنيتها الآن أيها المولى للطواف حول القارة
السوداء ، ستتم الرحلة وترجع اليك سالمة ، وسوف يجىء أيضا في
مستقبل الأيام من يعيد الكرة ، ويكشف من جديد في سفن أفضل من
سفننا نحن ، تلك السواحل التى سنحمل إليها تحية فرعون !

— اذن فحدثوا الشعوب التى تلقونها في طريقكم عن مصر ونيلها ،
وعن فينيقيا وموانئها ..

— سنحدثهم أيها المولى ، وسنفديهم بنتاج اذهانكم وأذهاننا .
سنعلمهم كيف يقرءون ويكتبون ، سنلقنهم الصور الناطقة وحروف
الهجاء . سنهذب عقولهم بالآيات التى حفرها كهنة مصر على جدران
الهيكل ، وسنخبرهم كيف قهرنا البحار فى سفن صنعناها من خشب
الأرز والسنديان ، سندربهم على ترويض الأمواج ، وتبديد الظلمات ،
والثقل على الصعاب ، وتبادل السلع والمنتجات ، وعبادة الآلهة
واستمطار رحمتها ، وتسييد المعابد والهيكل ، وترتيل الصلوات
والإناشيد ، والعزف على الأعود والنفخ فى المزامر ، حتى اذا ما جاءت
شعوب أخرى ، فى مستقبل الأيام ، وجدت السبيل أمامها ممهدا ،
والطريق مفتوحا ، والزرع مفروسا !

فنهض فرعون على قدميه ، ورفع يديه الى السماء مبتهلا :

— لتسد الآلهة خطواتكم . سيروا بسلام على بركتها ، وفى
حراستها !

انشأ فرعون نخاو أسطولا من سفن فيها ثلاثة أفواج من الجذافين،
للمرة الاولى فى التاريخ ، وانطلق الأسطول من الموانئ المصرية على البحر
الاحمر ، وشق طريقه فى البحار والمحيطات ، ودار حول الطرف الجنوبي
للقارة الأفريقية ، وسار صعدا نحو الشمال ، فاجتاز مضيق «ملكارت»
الذى عرف فيما بعد بمضيق «جبل طارق» وعاد الى الساحل المصرى
الشمالى ، بعد رحلة استغرقت ثلاثة أعوام ، كان الوفاق فى خلالها تاما
بين البحارة المصريين والبحارة الفينيقيين الذين قاموا بذلك العمل
الجبار !

لقد تحقق حلم نخاو الثانى فى الطواف حول القارة السوداء ،

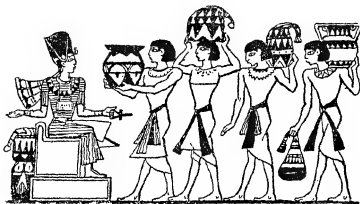
ولكنه لم يستطع أن يهنيء العرافة الفينيقية بنجاح الرحلة ، كما هنائه
هي من قبل بانتصاره في ماجدو ، ذلك لأن ميليت ماتت في الطريق ،
فألقيت جثتها في البحر ، مقبرة البحارة من قديم الزمان !

وقال فرعون لعبد بعل وساتكون ورفاقهما ، لما أرادوا العودة الى
بلادهم :

— أحملوا تحيات مصر وملكها الى مدينتكم وشعبها المقدام . فقد
قمنا معا بأعمال عظيمة ، وسوف يتبعنا من يتم عملا بدأناه ، ويسير في
طريق سرنا فيه . فنحن السابقون وهم اللاحقون !

فرعون ويهوذا

قالت العرافة ابنة الكاهن لفرعون :
« ان دولة يهوذا لا يؤمن جانبها
ولا سبيل الى انتقام شرها الا بازالتها
من الوجود ! »



الهدايا الى فرعون من البلدان التي فتحها والشعوب التي دوحها

قال فرعون «نخاو» للفتاة القرطاجية ، بعد أن اصفى باهتمام الى القصة التي روتها على مسامعه أمام الحاشية الملكية :

— انت هنا في أمان يا كيرا... وعناية الآلهة هي التي شاعت أن تدفع العاصفة بالسفينة المصرية الى ذلك الساحل الافريقي ، حيث تحطمت سفينتك على الصخور ، لكي ينقذك رجالنا من هلاك مؤكد... والان ، بعد أن عرفت ما حدث لك ، بقى على أن أخبرك بأن أباك « زنجارا » ليس غريبا على !

عم الفتاة السرور لسماها هذه الكلمات من فرعون ، ووقفت أمامه حائرة لا تفوه بكلمة ، وقرأ «نخاو» على محياها رغبته في المزيد من الافصاح ، فاستطرد قائلا :

— لا يدعشكن هذا... فان زنجارا الكاهن الورع ، والعالم المطلع، قد زار مصر كما تعلمين وأقام فيها بعض الوقت ، في عهد أبي «إسماتيك» وكنت في ذلك الوقت صغيرا أكتفى باللعب مع رفاقي أبناء كبار المملكة ولكنني أذكره.. أذكره جيدا.. ولا أنسى كيف أنه رفعني ذات يوم يديه القويتين ، وقال لأبي وهو يحدق في بصره الحاد : « ابنك هذا هو الذي سينتقم لك من ملوك يهوذا » ! ولم أفهم معنى هذه العبارة الا فيما بعد .

وقالت كيرا :

— أيها الملك ، لقد علمني أبي كيف أمزق حجب الغيب ، واقرأ في صفحة المستقبل كأنها صفحة الحاضر ، وأخاطب النجوم فتد على بلغة أفهمها ولا يفهمها سوى.. وسأضع معارفى هذه كلها في خدمتك ، كما وضع أبي معارفه في خدمة أبيك !

وأمر «نخاو» فرعون مصر بأن تخصص للفتاة الغريبة حجرة في جناح النساء بالقصر الملكي ، وأن تقوم بخدمتها ثلاث وصيفات .

وراح يفكر في غرائب المصادفات التي تسوق مصير البشر، وتدفع بعضا الى اتجاه بعض ، وتفرق بينهم أو تجمع ، وتبعد أو تقرب ، كأنها تلعب بهم كما يلعبون هم بالحصي !

وتذكر وصية أبيه : « كن عادلا في الداخل . واسهر على سلامة الدولة ، واحذر الغدر من الخارج : ان الكلدانيين وحاقماهم يطعمون في خيرات بلادنا ، ومملكة يهوذا تلعب لعبتين بيننا وبين الطامعين فينا ، فاحذر القائمين بأمر هذه الدولة ، وإياك ان توليهم ثقتك ، فقد غدروا بي أربع مرات ، ولم أثار لنفسى منهم بعد ! »

تذكر «نخاو» الثاني تلك الوصية التي أفضى بها أبوه قبيل وفاته ، وتذكر تكهن الكاهن القرطاجي زنجارا ، بأنه سينتقم لابيه من يهوذا ..

وقال في نفسه ان وصول كيرا ، بنة زنجارا ، الى مصر ، في ذلك الوقت باللات ، لهو قال حسن بلا شك .

نعم ، ان وصول الفتاة لغال حسن ، فقد روت للملك انها كانت عائدة الى وطنها قرطاجة ، بعد طواف طويل في معابد فينيقية ، وممها عمها وابنه ، ففاجأت سفينتها في الطريق عاصفة . هوجاء دفعتها الى الشاطئ الافريقي ، فتحطمت على الصخور ، ولولا لطف الاله ، ووجود سفينة مصرية دفعتها العاصفة أيضا الى ذلك المكان ، ما خرجت الفتاة من هذه المحنة .

وطلبت كيرا من البحارة أن يأخذوها الى الملك ففعلوا . وهكذا وجدت الكاهنة ابنة الكاهن نفسها بين يدي فرعون نخاو الثاني ، ابن فرعون بسامتيك ، الذي اكرم وفادة ابوها من قبل ، كما اكرم ابنه وفادتها هي وكانت دولة يهوذا ، في الشرق ، وعلى مقربة من حدود مصر ، عاملا من عوامل القلق ، وسببا من اسباب الاضطراب .

تذكر «نخاو» ما قاله له الكاهن زنجارا القرطاجي وهوطفل في كنف ابيه ، فاراد أن يسمح ما تقوله ابنة الكاهن . كيرا وهو ملك جالس على عرش ابيه !



صاشت الفتاة في القصر لا فرق بينها وبين اية امرأة من نساءه ، معززة مكرمة ، وكان فرعون نخاو يفترق من مناهل علمها ، ويقارن بين ما يسمعه منها وما يسمعه من كهنة مصر الواسعي الاطلاع .

وجاء اليوم الذي شعرت الفتاة فيه انها استكملت استعدادها الجسدي ورياضتها الروحية ، لتستطاع الغيب وتقرأ في صفحته ما دون فيها لفرعون نخاو . ولتنحز ذبيحة لالهة قرطاجة وتفحص امعاءها وتغتسل بدماؤها ، وتضي في النهاية الى الملك الذي وثق بها واحلها في كنفه ، بما ينتظره في مستقبل الايام وبما يجب عليه أن يفعل في السنوات الباقية له على الارض .

وقالت كيرا بنت زنجارا القرطاجي : « انك تفكر ايها الملك في تطهير الطريق المائي الذي كان في عهد اجدادك بصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر خلال ارض مصر الطاهرة ، والذي غمرته الرمال وازالت معالمه ، فاياك أن تفعل ، اياك أن تعيد قناة المياه الى ما كانت عليه ، فان هذا الطريق المائي سيكون شؤما على مصر ، لان الوقت لم يحن بعد لاعادة فتحه !

انك تفكر ايها الملك في رحلة بحرية طويلة تقوم بها السفن المصرية في الخضمات الشاسعة ، بقيادة اصدقاءك من بحارة فينيقية ، فافعل ولا تردد ، فانها لرحلة سوف تخلد اسمك على مر الاجيال لانك ستفتح بها فتحا جديدا عظيما !

« انك تفكر ايها الملك في الزحف شرقا للقاء خصومك قبل أن يزحفوا فافعل ولا تردد ، ولكن اخذر خيسانة ملك يهوذا الذي يعرض عليك صداقته ، انها صداقة منطوية على زغل !

« انك تفكر ايها الملك في وسيلة تضمن بها وقوف يهوذا بجانبك لاتخاذ هذه الدولة كمملكة امان بينك وبين اعداء مصر ، فلا تطلن التفكير ، ان يهوذا دولة لا يؤمن جانبها ولا سبيل الى ابقاء شرها الا بازالتهنسا من الوجود ، فاضربها ايها الملك ، او حرض عليها من يضربها ، فان الراحة لن تتم بال السكان في هذه الديار ، والاطمئنان لن يعود الى النفوس في هذه البقاع ، الا اذا هدم عرش يهوذا ، وعلمت الدولة بالزعجة ، وتشتت شعبها في أنحاء الارض »

« ايها الملك ، لا تحالف ملك يهوذا لانه سيخونك ، ولا تحارب معه جنبا الى جنب لانه سيخونك من الخلف ، وسوف تندم ان فعلت ! »

هذا ما قالته الكاهنة القرطاجية ، التي انقشها رجال فرعون من الهلاك ، واستضافها فرعون في قصره ، واحبها واحبته ، ولكن الحب بينهما ظل بريئا ، تتخاطب فيه الروحان .

فقد قالت كيرا لفرعون :

« ان ابي قبل موته ، جعل منى خليفته ، ورسمنى كاهنة للربة تانيت ، والكاهنات في معابد تانيت لا يتزوجن ولا يستلمن للحب ، وانا هنا ، في قصرك ، احسب نفسى فى هيكل من هيكل تانيت ، لانى حولت حجرتى الى معبد انصرف فيه الى الصلاة ! »

وفطنت نساء القصر جميعا الى ذلك الحب الذى نشأ بين فرعون والفتاة الغريبة ، ولكنهن فهمن ايضا حقيقة ذلك الحب ، فاحترمته ولم تكن الملكة نفسها اقل احتراما لتلك العاطفة النبيلة من النساء الاخريات !

اما فرعون ، فقد اكبر موقف الفتاة التى احبها ، وزاده هذا تمسكا بما تكهنن به يوم نحرت ذبيحتها لتانيت ، الربة القرطاجية ، وقرأت في جوفها ، واستطلعت صفحة الغيب ، وفسرت سير النجوم ، والكواكب ، وقامت لفرعون ما يجب عليه ان يفعل

وعمل فرعون « نخاو » بنصائح الفتاة ، لانه اقتنع بانها ارادة الالهة نطقت بلسان الكاهنة .

كان يفكر فعلا ، قبل ان يفقد اباه ، وقبل ان يرتقى العرش ، في تنفيذ المشروع الذى قرره بسماتيك فى اواخر عهده ، والقاضى برفع الرمال والأتربة من القنوات التى كانت من قبل تربط فروع النيل بعضها ببعض وتمتد خلال الصحراء من شاطئ البحر المتوسط الى بلدة «كسسيما» الجائمة في طرف الخليج المؤدى الى البحر الاحمر ، والتى مرقت فيما بعد باسم « السويس »

واقترح الملك ، بعد مشورة الخبراء ، وبمسند المقارنة بين الفوائد والاضرار الفاجحة عن تحقيق ذلك المشروع فى الظروف الراهنة بان العدول عنه خير واوفى ، وان الافضل لمصر أن تصون الطريق البرى بين البحرين وتتحكم فيه ، من ان تعيد فتح الطريق المائى القديم . . .

وبدوون تأجيل ، قرر فرعون تنفيذ ما كان البحارة الفينيقيون
يقترحونه عليه ، وأنشاء أسطول يجوب البحار ويطوف حول القسرة
الافريقية ...

بينما كان نخاو الثانى يفكر فى ذلك جاءته الاخبار من يوشيا
ملك يهوذا ، بأن الكلدانيين وحلفاءهم بدؤوا الزحف نحو مصر ، وأنهم
يهاجمون الاشوريين حلفاء المصريين ، فلا بد لهؤلاء من نجدة ، والا فالحلاك
مصيرهم .

ولم يتردد فرعون فى الزحف لنجدة حلفائه ، معتمدا على ملك يهوذا
ايضا ، ليلتحق به مع جيشه .

وقلب يوشيا لفرعون ظهر المجن ، وبأن على حقيقته : فانقلب عليه
وحاول أن يطمس الجيش المصرى من الخلف !

لكن نخاو كان أسرع وأبعد دهاء : فقد وثب بجيشه على جيش يهوذا
فى سهل « ماجدو » وشنت شمله ، ومزق صفوفه ، وتركه أثرا بعد عين ،
وقتل الملك يوشيا فى حومة الصراع ، فلقى جزاء خيانه وغدره وكان ذلك
فى سنة ٦٠٩ قبل الميلاد .

وكانت كيرا صادقة !

وتقول التوراة فى سفر الملوك « ان عبيد يوشيا أركبوه ميتا من
ماجدو وحملوه الى اورشليم حيث دفنوه فى قبره »

ونادى الشعب بابنه « يواجاز » ملكا خلفا لابييه ، « وصنع الشر فى
عينى الرب على حسب جميع ما صنع آباؤه من قبل ! »

ورفض فرعون « نخاو » الاعتراف بالملك الجديد ، فخاعه ، وأخذه
اسيرا الى مصر ، وأقام ملكا مكانه أخاه « الياقيم بن يوشيا » وسماه
« يوياقيم »

ومات « يواجاز » بمصر !

ولما أصبح ملك يهوذا من صنائع فرعون ، وريبب نعمته ، ومدبنا
له بعرشه ، ظن نخاو أن الوفاء سيجعل الملك يوياقيم يحافظ على العهد
أكثر من أبيه ..

لكنه كان مخطئا فى ظنه .. وكانت كيرا القرطاجية هى الصادقة !
فقد استأنف « نخاو » الحرب واعتمد مرة أخرى على ملك يهوذا ،
فخان الابن حليفه كما خان الأب من قبل ، وتفاقم خطر الاعداء وتكاثر
حلفاؤهم ، فراجع فرعون الى ما وراء حدوده ، وآثر الانتظار على التسرع ،
واختار الحكمة بدلا من الحماسة .

وكررت الكاهنة القرطاجية ما سبق لها أن قالت له : « ان يهسودا
دولة لا يؤمن جانبها ، ولا سبيل الى اتقاء شرها الا بازالتها من الوجود ..
فأضربها أيها الملك ، أو حرض عليها من يضربها ! »

وقرر فرعون نخاو أن يزيح نفسه من أعدائه جميعا ، بأن يحرضهم بعضهم على بعض !

كلهم يريدون به شرا ، ويكيدون له سرا وعلنا ، فليعمل هو لاعادة كيدهم الى نحورهم .

رسم خطة بارعة أدت الى نشوب القتال بين الكلدانيين واليهود ، فانحصر الكلدانيون ، واجتاحوا دولة يهوذا ، وساقوا سكانها أسرى الى ضفاف الفرات .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ تشتت اليهود في أنحاء العالم .

أما « نخاو » فقد اعتصم في بلاده بعد أن ضاعف تحصينها وأتقن الحراسة كلها ، وأقام الخافر والقلاع ، وأفرغ همه في تقوية الجيش وتسليحه وتدريبه ، لئلا يخطر به إذا وقع الخطر ، أو لضمان الفوز إذا ما اضطرت مصر الى الزحف خارج حدودها ...

وعرفت مصر في عهد « نخاو » العزة والمهنة والرخاء والاطمئنان .

وذاق فرعون لذة النصر ، وعرف كيف يتلافى عواقب الأخطاء التي وقع فيها ، وكيف يبتعد عن الخطر إذا كان شاعرا بأنه ليس في وسعه التغلب عليه .

وكان سعيدا في حياته الخاصة ، سعيدا في زواجه ، سعيدا بذريته ! وظل وفيا لكيرا الكاهنة العاشقة .

أما كيرا فقد رحلت عن مصر بعد أن تحققت المرحلة الأخيرة من مراحل تكهناتها ، واقتصر فرعون من ملوك يهوذا ، يوشيا وبواجاز ، ويواقيم : الأول بأن قتله ، والثاني بأن حلقه فمات من الحزن ، والثالث بأن ألغاه في قم الأسد الكلداني فافترسه الأسد !

أما كيف رحلت ، فقد أراد ذات يوم أن يحملها على الخروج عن عنادها ، والعدول عن تحفظها ، والاستجابة لنداء الحب :

— أما زلت متمسكة برأيك يا كيرا ؟

وجه فرعون اليها هذا السؤال ، فإذا بها تجهش بالبكاء ؛ وتهرع هاربة من الحجرة !

وكانت هذه أول مرة تخون كيرا فيها نفسها ، وتمعز عن حبس دموعها .

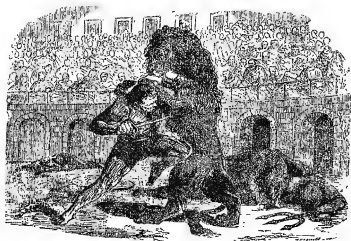
وفي اليوم التالي ، جاءت هادئة ، جميلة ، ماتفة بخمار أرجواني — اللون الفينيقي القرطاجي — وجلست بجانبه ؛ وقالت بصوت متهرج يتم عما يتلطم في صدرها من مشاعر فائرة :

— حبيبى ! حبيبى ! ان بقيت هنسا في قصرك ، في بلدك ، في مملكتك ، فأننى لن أقوى على الصبر ، ولن أحافظ على طهارتى .. وطهارتى

أمر لازم ، وشرط لا بد منه؛ لمن وقفت حياتها مثل ؛ حبيبة الربة تانيت؛
حبيبي ... أحبك ... ولأثني أحبك ، ولأنك تحبني ، يجب أن
تفترق ، لم أفعل في مصر ما يمكن أن يكون موضع نقد أو مؤاخظة ...
وسأترك عندكم في هذا البلد المحبوب ، ذكرى طيبة معطرة !
وأخذ فرعون رأس الفتاة النبيلة الطاهرة بين يديه ، وطبع على جبينها
قبلة طاهرة !

قاهر الوحوش

كان عبداً وقيفاً ، وكان أيقناً جباراً عتيقاً
فانتزع حرمة انتزاعاً من مغالب الأسد



مصارعة الوحوش

شهدت مدينة الاسكندرية في صيف سنة ٢٧٥ قبل الميلاد ، مهرجانا ضخما دام عشرين يوما . وأمر « بطليموس الثاني » بأن توزع النقود والمؤن على الفقراء بلا حساب ، وأن تبسط الموائد في الشوارع والميادين كي يأكل الناس ويشربوا على أنغام الموسيقى ، فقد أقيم ذلك المهرجان احتفالا بزواج بطليموس للمرة الثانية ، إذ كان قد غضب على زوجته الأولى - وكانت غريبة عن أسرته - فطلقها وأرسلها الى المنفى ، ثم تزوج أخته التي عرفت في التاريخ باسم « ارسينوى الثانية » وكان زواج الاخ باخته من العادات المألوفة عند البطالسة وغيرهم في ذلك العهد .

اما بطليموس الثاني فقد عرف باسم « ميلادلف » أي المحب لآخوته . لأنه كان في الواقع يحبهم ، بل لأنه كان يكرهم . كره الموت ، ولأنه قتل منهم اثنين عند ما اعتلى عرش مصر !

وأرادت الملكة الجديدة أن تزيل من القصر كل أثر للزوجة السابقة ، فأبعدت عنه جميع الخدم والعبيد والجواري والوصيفات ، وجاءت بأشخاص تثق بهم وتطيعن إليهم ، حتى لقد طلب إليها زوجها أن تبقى في خدمتها واحدة فقط من وصيفات زوجته الأولى فرفضت ، فأرسل بطليموس يستدعي تلك الفتاة لينظر في أمرها ، إذ كان يعظم عليها . عطفها . خاصها ، لأن أبائها أنقذه مرة من الفرق وراح ضحية شهامته ووفائه ...

كان اسمها « عمرة » . هي ابنة رجل عربي من قحطان ، جاء به بطليموس من البلاد التي شرق نهر الاردن ، حيث كان يشتغل بتجارة الخيول بين تلك البساتل وصحراء العربية ، وعهدة الية بالاضفاف على خيول القصر والحرس ، وتزويجها وترويضها ، التي أن مات تاركا ابنته الوحيدة أمانة في عناق الملك ، وكانت « عمرة » في عتوان السجاني ، تازعة الحسن ، سيمراء اللون ، سوداء الشعر والعينين ، فتولي بطليموس أمرها ، وجعلها من وصيفات زوجته الأولى ، فكانت مثال الولاء والاخلاص ...

اطلعا بطليموس على قرار زوجته الثانية بإبعادها عن القصر ، وقال : انه سيبحث بها وديعة الى أية أسرة تختارها من أسر القواد والحكام ، فيكت عمرة وطلبت إليه أن يعيدها الى البلاد التي جاءت منها ، لكي تبحث عن أهلها وذويها ، وتقضي حياتها بين ظهرانيهم . حرة من كل ضغط وقيد وأجابه الملك الى رغبته ...



كانت عاصمة البلاد التي عبر الاردن تدعى « دبة عمون » منذ إقامة العمونيين فيها واتشاء ذولتهم في تلك البقاع الوعرة . وقد خربها الملك داود ، واجتاحها الاشوريون ، ودكت معالمها للمرة الثالثة في الحروب التي

تسببت بين خلفاء الاسكندر المقدوني بعد وفاته . وعندما قسم قواد الفاتح العظيم ملكه الشاسع ، آلت بلاد الاردن الشرقية الى البطالسة الذين تبوعوا عرش مصر ، واتخذوا الاسكندرية عاصمةً لملكهم ، وهكذا جلست على عرش مصر أسرة غريبة أخرى ، حكمت البلاد بفسح مئات من السنين . وقد جعل بطليموس الثاني من الاسكندرية عروس حواضر الشرق ، تزمو بمبادئها وشوارعها ، وبالمسارة القسائمة على صخرة « فاروس » عند مدخل الميناء ، تلك المنارة التي عدت فيما بعد احدي عجائب الدنيا السبع

وجه بطليموس الثاني عناية خاصة الى «ربة عمون» فاعاد بناء اسوارها وقصورها على قمة الجبل، ومعابدها وهيكلها في الواديان، والملعب الفسيع المنحوت في سفح تل صخري ؛ ثم اطلق عليها اسمه ، فعرفت منذ ذلك الوقت باسم « فيلادلفيا »

وفي اثناء زيارته للمدينة الجديدة اهدى اليه «سيور» ابو عمرة نرسين عربيين أصليين ، فقبلهما بطليموس ؛ واصطحب معه الرجل وابنته الى الاسكندرية فاقاما فيها الى ان كان ما كان . . .

وعندما طلبت «عمرة» ان تعود الى شرق الاردن لتلحق من هناك ببنى قومها وتستعيد حريتها ، كان الملك يعد العدة لايفاد بعثة من عظماء الدولة في موكب كبير الى فيلادلفيا ، لاحياء الحفلات فيها اسوة بعواصم بقية الاقاليم الخاضعة له ، بمناسبة زواجه . فالتحقت عمرة بالموكب مزودة بالمال والهدايا

هبط سكان فيلادلفيا من أعالي الجبل الى قاع الوادي حيث أعدت العدة لاقامة المهرجان في الملعب الفسيع . فآخذ الحكام والقضاة والكهنة اماكنهم في الشرفة الاولى ، وامتلى الشعب المدرجات فملأها على سعتها ، وانتشر الذين لم يجئوا لهم مكانا في الملعب على المشارف المجاورة ، وهي ستة تلال تحيط بالمدينة وتنساب بينها مياه الغدير العذبة ، مفردة على حصى الواديان ، ساقية أنواعا عدة من الاشجار والرياحين . . . وجلست عمرة مع الجالسين في الشرفة الاولى مع رسل بطليموس ورجاله القادمين من مصر ، يتصدهم رئيس تلك البعثة « فيليب القبرسي » القائد المحنك الذي تولى اخضاع القبائل في النخوم الشرقية .

وكان برنامج البهظة رائعا . . . فقد تناوبت في حلبة الملعب جماعات من الموسيقيين والمغنين والشعراء والمنشدين، كل منهم يعزف على آلة او يترنم باغنية ، او يتلو قصيدا او يرتل نشيدا ، وتشابك الراقصون والراقصات في حركات فنية بديعة على أنغام القيثارة والمزمار ، وتبارز ارباب السيوف والرماح فقتل منهم من قتل وجرح من جرح ، وتصارع المتصارعون ففاز منهم من فاز ، ونقل المغلوبون الى الخارج وقد تفككت مفاصلهم وسحقت عظامهم، وعرض المروضون كلايهم وقرودهم وحيرهم، وجاء رجل فينقي بدب اسمر يلعب بالسيف والترس ، وتبارى الفرسان

العرب على متون جيادهم الاصيلة التى حملتهم من بطن الصحراء
للاشتراك فى ذلك المهرجان .

وكانت خاتمة هذه المشاهد منازلة رجل افريقى لاسد هائج ، فقد
وقع ذلك الرجل فى الاسر وهو على رأس عصابة من المصوص عانت فى
صحراء مصر فسادا فحكم عليه بالإعدام . ولكن الرجل اقترح أن يوضع
وجها لوجه مع الوحوش الكاسرة ، فاما أن تفتسه وينتهى الامر ، واما
أن تغلب عليها فيظل على قيد الحياة حرا طليقا . وانقضت ثلاثة اعوام
على اقامته فى الاسكندرية ، تغلب فيها على أربعة اسود ونمر وضبع
 وخمسة ذئاب . وأراد بطليموس أن يساهم قاتل الوحوش هذا فى مهرجان
 فيلادلفيا فارسله اليها مع بعثته ، لبصار ع أسدا هائجا فيقتله أو يلقى
فى المصارعة حتفه !

نزل الرجل الى حلبة الملعب عارى الجسم لا يستتر عورته غير خوقة
حمرء وفى يمينه خنجر صغير ، وقد لف ذراعه اليسرى بقطعة من الجلد
المتين واطلق الاسد من قفصه الحديدى ، فاندفع فى الحلبة نائرا مزجرا ،
وعلت أصوات المشاهدين داعية الزنجى الافريقى الى الحذر ورباطة
الجأش ، وضاعفت الاصوات غضب ملك الطغابات فارتفع زئيره المخيف
وبعث الرعب فى النفوس ، ورأى الزنجى يقترب منه مقبلا زئيره ، فضرب
الارض بذيله ، ونفض ذؤابته ، ووثب نحو فريسته مكشرا عن أنيابه ..

ولكن الرجل تلقى الصدمة بذراعه اليسرى ، وجعل يلعب لاسد
كما يلعب القط البأر ، فكان المشهد هائلا لم تقع عين سكاى فيلادلفيا من
قبل على مثله . وما هي الا دقائق معدودة ، حتى تمكن الرجل من تسيديد
طلعة من خنجره الى عنق الاسد ، فسال على الارض دمه ، وبلغ هياجه
مبلغا عظيما ، فدار حول الحلبة قفزا وعدوا ، حتى اذا ماوصل أمام الشرفة
الأولى حيث مندوب الملك وحاشيته تحفز فجأة ووثب وثبة زاهدا الألم
قوة واندفاعا ، فبلغ حافة الشرفة وانشب مخالبه فى صدر « عمرة » مولكته
لم يتمكن من التعلق بها فسقط على ظهره ، وكان الزنجى قد أسرع اليه
رافعا خنجره فاعمد فى عنقه مرة ثانية فثالثة ، فلهث وتدفق الدم من
فمه على حين وضع الزنجى قدمه على رأسه حتى أصبح جثة لاهرا كفيها
وظل الزنجى على حسب الوعد حرا طليقا !

ولكن الذئب كان قد استولى على النساس فعلا الهرج وارتج ، ولم
يصفق للفائز غير فريق من المشاهدين فى حين كان الباقون يسرعون نحو
الابواب طلبا للنجاة ، فلما منهم ان الاسد قد تسلىق المذارج .. وأحاط
رفاق « عمرة » بالفتاة الجريح يحاولون مبادرتها بالاسعاف ، ووقف نزيف
الدم من صدرها الذى مزقته مخالب الاسد !

لكن محاولتهم ذهبت سدى ، فقد اسلمت المسكينة الروح فى زفرة
تقطع الكبد . وماتت فى اللحظة التى كان العيلاق الافريقى يضرب فيها
ضربته القاضية . فخرج الناس من الملعب واهمين ، وانتهى المهرجان
بماتم مشى فيه فيليب القبرصى ، ووراء الكهنة وخدامات الهياكل وسكاى
فيلادلفيا حاملين المباخر والازهار ، فأودعوا « عمرة بنت سيور » العربية
مرقدتها الأخير ، فى ظل عريشة وارفة على ضفاف التدبير .

مات الاسيد ، ولكن بعد أن انتزع من الفتاة روحها ، وبعد أن انتزع العبد الافريقى حريته من بين مخالفه ا

ولكنها حرية لم ينعم بها المنتصر !

فقد مشى العملاق الافريقى فى جنازة الفتاة العربية • وبكى على قبرها مع الباكين • ولكنه لم يعد مع المشيعين بعد أن واروا فقيسدتهم بالتراب •

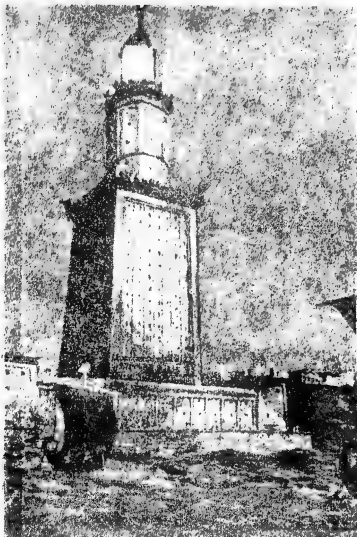
ففى صباح اليوم التالى - وجد العملاق ميتا على قبر عمرة - وفى ضبرة النضل الذى قتل به الاسد فى مهرجان فيلادلفيا •

لم تقتله الوحوش الكاسرة • وقتله منظر الغشاة الميتة • فانتحر اعتقادا منه أنه كان سبب موتها •

وفى السنة التالية • زار بطليموس الثانى المدينة التى تحمل اسمه • ووقف خاشعا على قبر ربييته العربية التى رحلت عن مصر للقاء ذويها ، فلقيت حتفها •

جواهر بطايموس

صندوق في مياه الاسكندرية ينتظر في قاعها
صاحب الحظ الذي قد يعثر عليه . ويستولى
على الكنز الذي فيه !



منارة الاسكندرية
احدى عجائب الدنيا السبع سمى بها البطالمة

كتب بطليموس الثالث ، ملك مصر الاغريقى ، الى صديقه -
كليومينس ملك اسبارطة يقول :

« ردا على خطابك الذى تطلب الى فيه ان انجذك بالمال والرجال ،
اخبرك باننى اجيبك الى رغبتك والى نداءك . ولكننى اشترط عليك ان
ترسل الى من ناحيتك رهائن يحتفظ بها مادام جنودى بعيدين عن وطنهم .
ولا اخالك حارضا فى ان تكون الرهائن امك ووزجتك وأولادك . فابعت
بهم الى ، وفى اليوم الذى يصلون فيه الى الاسكندرية ببحر جنوده الى
بلاد الاغريق للانضمام الى جيشك ومحاربة اعدائك . وثق ابنى دائما
صديقك المخلص الأمين . »

واضطر كليومينس الى النزول على رغبته وقبول شروطه ، لان
الضرورة كانت ترغمه على ذلك

وبعد اسابيع ، وصلت الرهائن الى الاسكندرية ، وغادرها جيش
بطليموس فى اليوم التالى الى بلاد الاغريق

كان الاسبارطيون يعانون مشقات هائلة فى الدلاع عن وطنهم
بالرغم من أنهم كانوا رجال حرب وكفاج

وحاول كليومينس ، عندما وصلت اليه اللجنة المرسلة من مصر ،
أن يستعيد المدن التى فقدتها ، فكر على اعدائه مرة بعد مرة . ولكن
المقدونيّين تغلبوا عليه وهزموه فى معركة سبلازيا سنة ٢٢٢ قبل
الميلاد ، فاضطر الى الخروج من وطنه هائبا على وجهه ، وطلب النجاة الى
ديار غير دياره .

فأبحر الى الاسكندرية ، عاصمة البطالسة فى ذلك الوقت ، ونزل
مع حاشيته ضيفا على صديقه وحليفه بطليموس الثالث

ورحب به ملك مصر . وطاع اليه أمه ونوجته وأولاده وأنزلهم
فى دار على شاطئ البحر ، وعلى مقربة من القصر الملكى

وكان بطليموس الثالث ملكا عادلا محبوبا من شعبه ، الذى أطلق
عليه اسم « المحسن » لأنه كان يعطف على الفقراء والموزين ، ويساعد
اليتامى والمساكين ، ويرغب فى أن يعيش الناس جميعا فى بعبوحة من
الهدوء والسعادة .

وبطليموس الثالث هو الذى فتح سورية وآسيا الغربية وأعاد من بلاد
فارس الى مصر تماثيل الآلهة وأسلاب المعارك التى كان دارا وقميص قد
أخذها من وادى النيل عندما اجتاحت جيوشه .

ولكن الاقدار آتت الا تظل عابسة في وجهه كليومينس الطريد .
فان صديقه بطليموس الثالث مات بعد وصول الملك الاسبارطى الى مصر
يشهور معدودة ، وارتقى العرش بعده ابنه بطليموس الرابع ، وكان يكره
كليومينس ويوجس خيفة منه

عرف بطليموس الرابع فى التاريخ باسم « فيلوپاتور » أى « المحب
لابيه » . وقد أطلق عليه الناس هذا الاسم لأنه كان يحب أباه ، بل
لأنه كان يعكس ذلك يضمهر له الشر ويرقب موته . وقد قيل : إنه دس
إله السم فى الطعام لكى يخلفه على العرش !

وكان أول عمل أقدم عليه الملك الجديد على أثر تبوؤه عرش مصر ،
أن أمر باعتقال كليومينس وأسرته وحاشيته وزوجهم جميعا فى السجن ،
بحجة أن ملك اسبارطة السابق يعلل النفس بانتزاع السلطة من البطالسة
وبسط سلطانه على مصر



كان بين رجال كليومينس الذين فروا معه من اسبارطة الى مصر
رجل شجاع يقال له « بانتيوس » . وهو من المقربين الى الملك المهزوم
ومن انصاره المخلصين ، بل أشد انصاره اخلاصا له ورغبة فى استرجاع
عرش اسبارطة وطرد المقدونيين من بلاده

وفى الفترة التى انقضت بين وصول الملك وحاشيته الى مصر ،
والقبض عليهم وزجهم فى السجن ، عرف بانتيوس الاسبارطى فتاة من
وصيفات القصر تدعى ديمتريا . وهى اغريقية أرسلتها بزنيس أخت
بطليموس الثالث الى أخيها وأوصته بها خيرا لأنها بنتمة الأيوين ولأن
أماها كانت خادمة مخلصه لبزنيس زوجة انطيوخوس الثالث ملك سورية

تحب بانتيوس الفتاة . وبأدله الحب « وانقسم كل متهمسا يمين
الاخلاص للآخر » وتعلل هذا على الزواج عندما تعود اليه الى مجاويها ويرجع
الملك كليومينس الى اسبارطة

ولكن أمانى المحبين وآمالهما أصيبت بضربة قاسية عندما انتقل
بطليموس الثالث الى العالم الآخر وخلفه ابنه بطليموس الرابع على
العرش ، فقلب ظهر المحب للإسبارطيين والقاهم فى أعماق السجون .

وبالتى الفتاة ديمتريا ترقب الفرص للاتصال بحبيبها وقد الحقه
الملك برفاقه ، ولكنها لم تجد إلى ذلك سبيلا . فاستولى عليها الحزن
وجعلت تدب سوء حظها وتطلب من الآلهة أن تنقل الملك السجن
وحبيبها من قبضة ذلك الظالم الذى غدر بهما

غير أن بعض أعوان الملك من اغريق الاسكندرية كانوا يعملون خفية
لاخراجه من السجن . وشابت الظروف أن تتصل ديمتريا بأحد ستم
فالتحقت بالمتأمرين وساعدتهم على قدر طاقتها . ونجحت المؤامرة فخرج
كليومينس ذات يوم من السجن فجأة بعد أن اغرى أغراضا واشترأهم
بالمال . وثمعه رجاله وقد امتشق كل منهم حسيافته وأندفع الجميع فى
شوارع الاسكندرية داعين الناس إلى العصيان والثورة

وامام باب السجن وجد بانتيوس حبيته الوفية في النظارة فتعاقب
الحبيبان وهمست ديمتريا في اذن الاسير طي هذه الكلمات :

- بانتيوس : لقد ضمنت لكم الفوز بالمال بعد ان تستولوا انتم اليوم
على معقل الجنود . فقد اخذت من قصر الملك من الجواهر والحل ما يكفي
شره شعب بأسره ، واقامة دولة جديدة على انقاض دولة بالدة !

فطبع بانتيوس على جبين حبيته قبلة حارة ، وانطلق وانطلقت هي
معه وراء الملك كليومينس في طلب الثار !

ولكن الالهة كانت تعارب انك الطريد في امانيه ، وتعاكسه في
جميع اعماله ، فقد ابى سكان الاسكندرية ، وهم التجار الحريصون على
اموالهم ومضاجعهم ، ان ينضموا الى ذلك الغريب الشائن ، فتغلب رجاله
بطليموس على الاسبراطيين وقبضوا عليهم جميعا بعد ان سقط منهم
من سقط في القتال ولعيدوا الواحد بعد الآخر الى السجن
وادركوا انهم حالكون لا محالة .

وكانت الفتاة ديمتريا بين الاسرى لانها ابت الا ان تظل مرافقة
لحبيبها . فحاربت معه جنبا الى جنب وآثرت دخول السجن مع من تحب
على التمتع بالحرية بعيدة عنه

وعندما اغلقت وراء الاسرى ابواب السجن وقف الملك كليومينس
في قومه خطيبا وقال :

- ايها الرفاق . لقد شامت الالهة ان تلتزمنا الهزيمة الى النهاية .
وان يقضى على أعز امانينا فلا اري الآن فائدة من البقاء على قيد الحياة ،
بل اري ان الموت خير لنا واوفى ، فان الملك بطليموس الرابع سوف يتنكل
بنا وينتقم منا ويلقي بنا الى السباح فتقتربنا ، او الى القيلة تدوسنا
بقوائمها ، او يامر زبائنه بذبحنا ذبح الانعام في هذا السجن المظلم ، ان
لم يكن قد فكر من الآن في شد وثاقنا والقائنا في البحر من اعلى أبراج
قضره . ولذا فانا ادعوك جميعا ايها الرفاق الى ان تقطعوا حبل حياتكم
بايديكم ابدا بنفسى فاعمد هذا الخنجر في صدري !

فتنهض بانتيوش وقال :

- ايها الملك المحبوب . لا اظن احدا من رفاقنا يتردد لحظة واحدة في
النزول على اوارثك والعمل باشارتك ، لمكنا نرحب بفكرتك . وخير لنا
الف مرة ان نموت ونتجوز من ان نعمل بنا جنود بطليموس فنبعث
كالصوص او الجبناء ، غير ان في املية واحدة ارنجو منك ان تصغي اليها .

- ان امنيتك بابانتيوس للقضية قبل ان تقضى بها الى . فانت اوفى
الاوفياء واخلص المخلصين . تكلم !

فطلب بانتيوس من كليومينس الا يسمح للفتاة ديمتريا بأن تقدم
على الانتحار ، لانها ليصمت اسيرطية ، ولأن الاقدار دغمت بها الى الاشتراك
في تلك الحركة الثورية دون ان يحتم عليها الواجب الاشتراك فيها .

ولكن الفتاة نهضت من مكانها وصاحت :

- بانتيوس ! ما كنت اظنك ايها الحبيب تقدم على امر من شأنه ان يلحق العار بمن تحب . لقد حاربت معكم وربطت حظى بحفظكم وحياتي بحياتكم ، فساموت اذن عند ماتموتون او ابقى على قيد الحياة اذا بقيتم احياء . غير اننى ارجب في ان افضى الى الملك كليومينس بسر لم ابح به الا لك وحدك ايها الحبيب ، فاعلم ايها الملك الكريم اننى حملت معى عندما غادرت قصر الملك للالتحاق بكم ، صندوقا صغيرا يحوى ثروة كبيرة ، ذلك الصندوق هو الذى كان الملك بطليموس الرابع يحفظ فيه جواهر التاج والحجارة الكريمة والالياء النادرة التى يعتز بها البطالسة . وبين تلك الجواهر جوهرة جاء بها بطليموس الثالث « المحسن » من الشرق وكان دارا ملك الفرس يحل بها تاجه . وقد قيمت ذلك الصندوق فى مكان من البحر لا يعرفه سوى ، على امل ان يكمل النجاح ثورتكم فننتشل الصندوق من جوف اليم ونفترف من الجواهر ما يلزمنا لاقامة عرش جديد على انقاض عرش البطالسة ، واعادة عرش اسبارطة اليك ايها الملك . اما الآن وقد قضى على آمالنا وقررت انت وقررنا نحن ان نموت جميعا ، فان الكنز سيظل فى مكانه ولن يعلم احد اين دفنت جواهر بطليموس الرابع ملك مصر !

نفذ القوم عزمهم فانتحروا جميعا

وكان كل واحد منهم يغمد خنجره فى صدره دون ان تنبعث من ذلك الصدر صرخة ألم أو حسرة أو حشجة

وكان البادى بالانتحار الملك كليومينس نفسه وتبعه الآخرون وبقى بانتيوس واقفا فى مكانه ينظر الى رفاقه يتساقطون حوله كسنايل القمح

وكانت ديمتريا واقفة بجانبه ترمقه بنظراتها وخفقان قلبها يشتد لحظة بعد لحظة

وعند ما سقط الجميع على الارض تناول بانتيوس خنجره من غمده ورفع يديه الى السماء وقال :

- ايها الالهة ، يا آلهة اسبارطة ، اشهدى اننى لم اتردد قط فى الالتحاق برفاقى ، ولكننى أردت ان أثق من موتهم جميعا مخافة ان يبقى احد منهم رمق من الحياة فيعالمه اطياء بطليموس ليضملى من جرحه وبعد ان يعتبوه يموت بايديهم !

وطاف بانتيوس على جثث رفاقه وجعل يطنن كلا منهم طعنة فى قلبه

وصل الى الملك فاذا به يتحرك فاكتب بانتيوس على يده يقبلها واضعد خنجره فى الصدر الملكى !

وبعد أن أيقن الرجل أن الحياة قد فارقت جميع الميثاق المبعثرة حوله ،
قدم خنجره إلى حبيبته ديمتريا وأغمض عينيه ولم يفه بكلمة .
فاندركت الفتاة قصده ، وبأسرع من لمح البصر أخذت الخنجر من
يده وأغمדתه بين يديها
فانتزع بانتيوس ذلك الخنجر المخبى بدم حبيبته الوفية ، وطعن
نفسه الطمعة القاضية وسقط على الفتاة التي أحبها جثة هامدة
وكان ذلك في سنة ٢٢٠ قبل الميلاد

بحث البطالسة كثيرا عن جواهر بطليموس الرابع ولكنهم لم يلقوا
لها على أثر . وبقي أمرها سرا من أسرار التاريخ يقترون في الاسكندرية
يسر قبر الاسكندر ، منشئ المدينة العظيمة .

القميص الأبيض

كان الفراعنة والملوك البطالسة في مصر
يصنعون لأنفسهم ، ويهنون إلى أصدقائهم
قمصانا من خيوط القطن البيضاء ،
ويعدون منها أكفانا للرقدة الأخيرة . . .



القائد الروماني بوليوس قيصر

— على بالنساء جميعا : الوصيفات والساقيات والنديمات على
السواء ، فأننى فى حاجة اليهن يا شرميون : أرغب فى الافضاء على
مسامعن بأمنية لا شك عندى فى أنهم سوف يساعدننى على تحقيقها ،
قبل رحيلى عن مصر بعد بضعة أيام

واسرعت « شرميون » ، وصيفة كليوباترة ، الى تنفيذ أمر
مولاتها ، فنادت رفيقاتها وصويحبائها من نساء القصر : ايرينا ،
وهاستيا : وريئابوث ، وفوتينسا ، وابراس ، وغيرهن من مصريات
ويونانيات : فانتظمن فى حلقة زاهية ضاحكة ، على شرفة القصر المظلة
على مياه البحر الزرقاء فى الاسكندرية ، حول كليوباترة المستلقية على
وسائد اريكتها ، فى ثوبها الشفاف ، ويجانبها الفهد الاليف الذى جاءها
به جنودها هدية من كهوف النوبة ، يوم وصول يوليوس قيصر الى
انعاصمة المصرية

وقالت الملكة :

— اخواتى ، انكن احب الناس الى . يكن اوثق وعليكن اعتمد
فى السراء والضراء . وقد دعوتكن اليوم لاطعن على ما اعترتمه ، واطلب
مكن تحقيق رغبة نبتت فى صدرى الليلة ، وانا ساهرة فى مخدعى ،
فهل لكن أن تصفين الى وتجبني الى ما اريد ؟

فانطلقت من بين شفاه النساء الأرجوانية كلمة واحدة ترددت
وتكررت كتفريد العصفير :

— نعم : نعم ، نعم !..

واستطردت كليوباترة تقول :

— للذ احببت قائد الرومان يوليوس قيصر العظيم : واحبنى
قيصر كما تهم حبا جامحا قويا ، سيطر على اعماله كلها وملك قيادى
فخضعت له خضوع الاسير لاسره . ولكن القائد المحبوب بعيد عنا
الآن ، يواصل مطاردة خصومه والقضاء على منافسيه فى اطراف الدولة
الرومانية الشاسعة حليفتنا العزيزة . ومنذ أيام ، تلقيت منه خطابا
يدعونى فيه انى اللحاق به فى روما . ولا يسعنى الا أن ارضخ لارادته ،
فهل تنصحننى بالدهاب ؟

وانطلق التفريد مرة اخرى من بين الشفاه الحمراء :

— نعم ، نعم ، نعم !..

وارتسمت على ثغر الملكة ابتسامة الرضا والارتياح ، وعادت
تقول :

— سأذهب اذن . وسأحمل معى كل ما يمكن أن تسعه السفينة من هدايا مصرية لتبصر المنتصر . غير أن هناك هدية ستكون على ما اعتقد أحب الهدايا اليه : فقد فكرت في أن نصنع له قميصا من خيوط القطن المصرى البيضاء يرتديه تحت حلته الرومانية الفضفاضة : فيفكر فيها كما تربل به ، ويدكرنا كلما خلعه عن نفسه : ولكن أين هذا القميص أينها الأخوات العزيزات ؟ ان الخيوط القطنية الرقيقة البيضاء لفى انتظار الأنامل التى تحوكم سداها ولحمها ! وقد انزف موعد الرحيل وسوف أبحر من الاسكندرية بعد ثلاثة أيام ! فهل أناملكن الناعمة على استعداد لصنع هذا القميص الناصع : قبل حلول الساعة التى تقلم فيها السفينة : من الميناء ؟

وللمرة الثالثة ، فردت الشفاه الحمراء :

— نعم ، نعم ، نعم ! ..

ونفضت كليوباترة فرحة مهللة :

— لنعمل اذن أينها الصديقات الحبيبات ، وسوف تكون أنامل ملكتك أبعد الأنامل دقة ، وأكثرها سرعة ، فى حياكة القميص المنشود !



فى ٩ من أغسطس سنة ٤٨ قبل الميلاد ، هزم « يوليوس قيصر » خصمه « بومبيوس » فى معركة « فرسال » ، ولحق به الى مصر حيث لجأ القائد الهسارب الى الملك « بطليموس ديونيزوس » : فقتله الملك وأرسل رأسه الى قيصر ليسترضيه . ولكن القائد العظيم هالته هذه الخيانة : فعزم على الاقتصاص من القاتل ، وانقسم المصريون الى فريقين ، وانتهى الامر بأن هلك « ديونيزوس » فرقا ، واجلس يوليوس قيصر على عرش مصر أخنه كليوباترة ، وشاركها فى الملك أخوها الثانى « بطليموس الطفل » الذى عقد زواجه عليها : عملا بالتقاليد المتبعة فى ذلك الوقت !

وكانت الملكة فى الحادية والعشرين من العمر ، وكان الملك أخوها وزوجها فى السادسة فقط ، ولم تكن كليوباترة اعطموح لتعصب حسابا لهذا الشريك فى عرش عولت على الاستئثار به دون أفراد أسرتهـا جميعا ، فاعتزمت منذ تلك اللحظة أن توقع الرومانى المنتصر فى جبال فرامها ، وأن تتحكم بقلبه ومن ثم بعصره ، ثم تتخلص بمساعدته من الاخ الصغير الضعيف !

ووقع يوليوس قيصر فى الشرك الذى نصبته له الحسناء المتوجة فأحبها ، وهو أنكل البالغ الثالثة بعد الخمسين من العمر ، وأصبح لا يطيق صبرا على فراقها

ولمست الاسكندرية ، بأمر من الملكة ، حلة الأفراح والاعیاد ، وشاهدت تلك العاصمة المصرية ، التى اتخذها القائد الرومانى الكهل ، وكليوباترة الصبية ، مسرحا لغرامهما العجيب ، بأروع مظاهر اللهو ، وأبهج الليالى الملاح ...

ولكن القائد اضطر اضطرارا انى الرحيل عن مصر لمواجهة الاخطار
المحدقة ببلادها ، وقمع الثورات القائمة فى بعض اقاليمها ، فعز عليه
الفرار ، ووافد الرسل بعد الرسل الى حبيبتة البعيدة ، لتلتحق به فى
روما عاصمة الامبراطورية .

أبحرت كليوباترة مليية نداءه ، فى سنة ٤٥ قبل الميلاد ، بعد أن
تخلصت من أخيها الزوج بالسّم ، وجعلت وليا للعرش طفلا «قيصر»
ثمرة غرامها الرومانى ، حاملة معها الهدايا الثمينة ، ومن بينها القميص
الابيض ، الذى حاكته أناملها وأنامل وصيفاتها من خيوط القطن المصرى
فى ثلاثة أيام !

— انها لهدية ايها الحبيب سوف تذكرك بالحبيبة فى صحوك وفى
نومك سواء أكانت كليوباترة بجانبك ام بعيدة عنك ، لان هذه الهدية
ستلازمك أكثر من ظلك ، فتلامسك وتلامسها فى الليل والنهار !

وعائق يوليوس قيصر كليوباترة وقال بصوت تخنقه العبرات :

— وانها أيتها الحبيبة لأعز الهدايا لدى . فسوف ألبس هذا
أقميص الذى ساهمت أناملك فى حياته ، وأباهى به ، وأعده ليكون
لى فى نهاية العمر كفتا يلفنى فى طريقى الى العالم الآخر !

ونزلت ملكة مصر فى قصر أعده لها سيد روما على ضفاف نهر
التيجر ، وأراد أن يحاكي البلخ فيه بلخ القصور المصرية على شاطئ
الاسكندرية وضفاف النيل ، وشاهدت العاصمة الكبرى بدورها —
وقد اتخذها القائد الرومانى الكهل ، وكليوباترة الصبية ، مسرحا
لغرامهما

وخيل لهما ان الدهر لا يعد لهما غير السعادة والهناء ، وفاتهما
ان الدهر غادر لثيم ، وأن السعادة لا دؤم ، والهناء لا يد أن يتبعه
شقاء !

فى الخامس عشر من شهر مارس سنة ٤٤ قبل الميلاد ، ذهب
يوليوس قيصر كعادته الى مجلس اشيوخ الرومانى ، وقد أعد عدته
لمواجهة الحملة التى قيل له أن خصومه من أعضاء المجلس سوف
يشنونها عليه ، لمحاسنته على أعمال القسوة التى ارتكبها ضد الشعب ،
وعلى الانحلال الذى خلقه الذى يبدو منه ، فى سلوكه مع الملكة الغريبة التى
نسبى راجيه بسببها

ولما هم بدخول قاعة المجلس ، دس رجل مجهول فى يده ورقة
منطرت فيها كلمات التحذير من مؤامرة دبرت لاغتياله . ولكن القائد
المتكبر لم يابه بالتحذير ولم يكثر ، ووقف صامدا متعجرفا يرد على
التهم ويفندها ، حتى اذا ما اقترب منه المتآمرون وأحاطوا به ، وقدما
اليه عريضة يطلبون فيها العفو عن الاشخاص الذين اعتقلهم أو أطلق
زبائنته فى أثرهم للقضاء عليهم ، صاح قيصر بهم قائلا :

« لن أعفو عن أحد ، وسوف يلاقى كل متآمر عنيد جزاءه ! »
 حينئذ ، لمعت في أبدي المتآمرين النصال ، وأنهاروا بها على
 يوليوس قيصر ، صائحين : « مت اذن يا طاغية روما وظالم الرومانيين ! »
 وسقط يوليوس قيصر على الأرض والدماء تنهمر من جراحه !
 واسرع اصدقاؤه وأعدائه لنجدته ، ولكنهم وصلوا اليه بعد
 فوات الوقت ، فرفعوا عنه الحلة الرومانية ، وإذا بهم أمام جثة
 هامدة ، مزقت النصال صدرها ، ومزقت معه القميص المصرى الأبيض
 الذى أهده اليه كليوباترة ، والذى أصبح له كفنا لفه في طريقه الى
 العالم الآخر !

ومن يدري هل الملكة الضالة لت تصنع لهذا الأخير ما صنعتها
 الوصيفات وملكتهن كليوباترة من خسيوط القطن البياض فى
 الاسكندرية . وعادت كليوباترة الى عاصمة ملكها حزينة حائرة ، ولكن
 حيرتها لم تطل ، فقد أوقعت في جبالها القائد الذى حل بعد يوليوس
 محله في الشرق : « ماركوس انطونيوس »

أما قيرون ، ابن القائد الصريع : فقد كتب له أيضا أن يموت
 قتلا مثل أبيه ، بأمر من أوكتافيوس ٥ فى سنة ٣٠ قبل الميلاد ، وهى
 السنة التى انتحر فيها انطونيوس وانتحرت فيها كليوباترة !

ومن يدري هل الملكة الضالة لم تصنع لهذا الأخير ما صنعتها
 ليوليوس قيصر : قميصا ناصع البياض من القطن المصرى ، فكان
 لانطونيوس الفاسق كفنا ، كما كان من قبل لقيصر الطاغية كفنا !

مصيف المحبين

يسرح المصطافون في رمل الاسكندرية ويمرحون
ويداعب بعضهم بعضا على شاطئ البحر فهل
يعلمون أنهم يجوسون بين صخور وتلال لجا
اليها من قبل أبعد المحبين صبيتا ، وأعظم
المحبات شهرة وجمالا ، وسحرا ودلا ؟ ..



انطونيوس

اقتسم انقائدان الرومانيان اوكتافىوس وانطونيوس العالم المعروف في ذلك الوقت بينهما قسمة حتى وانصاف ، فكان الغرب من نصيب الاول : وكان الشرق من نصيب الآخر

واقلمت سفن انطونيوس ومراكبه الى شواطئه افريقية والشرق الادنى لتثبيت سلطان روما في الاقطار والامصار وفرض الجزية على المتمردين من الملوك والامراء .

واقام انطونيوس في سورية وطلب الى كليوباترة ملكة مصر ان توافيه اليها فابحرت في اسطول صغير لم يشهد العالم اسطولا يحاكيه بهاء وبلدخا ورونقا . وكان ما كان من لقاء وحديث ، وسهام تنطلق من عيني لم يضع الخالق في وجه انثى اجمل منهما ، ودلال جذير يربة الدلال في ذلك العصر ، وغرام بدا امام امواج البحر المتوسط في سورية ، وانتهى امام امواجه في مصر !

عادت كليوباترة ادراجها الى الاسكندرية ، تاركة وراءها رجلا صعبه جمالها واسره حبها ، فلم يطق صبورا على الفراق ، وما كادت المرأة الساحرة تصل الى عاصمة ملكها ، حتى كان المحب ألوهان قد تبعها اليها

وكان ذلك من شتاء سنة ٤١ الى . ٤٢ قبل الميلاد ، ففضى انطونيوس في ضيافة ملكة مصر بضعة اشهر ، اربطها معا بقيود لم تعد هناك قوة غير قوة الموت قادرة على ازالتهما

وعند ما اقبل الصيف بشمسسه المحرقة وقيظه المزعج ، قالت كليوباتره لانطونيوس :

— أين تقضى الصيف ايها الحبيب ؟

فاجاب القائد ، وقد تذكر واجبه العسكري ومهمته الرسمية :

— كان بودى ان اقضى الحياة معك فلا افارحك لحظة واحدة ، ولكن روما تنتظر من فتاها ان يضيف صفحة جديدة الى صفحات تاريخها المجيد ، فازحف بجيشى الى بلاد الفرس لاخضاع البقية الباقية من شعوب الشرق ، وبعد ذلك فقط اعود اليك ابتها الحبيبة

— ليكن ، غير اننى ارغب اليك في ان تختار بنفسك المكان الذى تريد ان يقام فيه القصر الصيفى الذى عزمتم على تشييده فى ضواحي العاصمة ، نكى ناوى اليه فى ايام القيظ !

وخرجت الملكة ذات يوم متنكرة فى صحبة القائد وقد تنكر ايضا ، الى تلك الضواحي التى كان العظماء وارباب المال يقيمون فى قصورها ، يعيدون عن ضوضاء العاصمة واعين الرقباء

وكانت تلك الضواحي تمتد الى الشمال الشرقى من المدينة وأشهرها ضاحية نيكوبوليس التى تتخللها البساتين والحدائق وتختبئ دورها بين الأشجار الكثيفة الوارفة الظلال

وكانت وصيفتا كليوباترة ، إيراس وشرميون : تملكان معا دارا صغيرة فى تلك الضاحية ، قائمة على صخور الشاطئ ، شبيدهما الرصيفتان بأموال سيدتهما ، فكانتا تقيمان فيها يوما أو أكثر فى الأسبوع ، كلما سمحت لهما كليوباترة بالتغيب

وكانت الوصيفتان تحبان شقيقين ، يدعى أحدهما ماركوس والآخر سيلفيوس ، الحقهما أنطونيوس بحرسه الخاص ، فعلق قلباهما بحب الفتاتين اللتين اختارتهما حببته سيدتهما لخدمتهما وملازمتها فى الليل والنهار

وضمت إيراس وشرميون دارهما فى نيكوبوليس تحت تصرف الملكة والقائد الرومانى ، ففضيا فيها شهرا : بعيدين عن الناس ، فى عزلة تامة عن العالم ، وقد أقبل كل منهما على الآخر بكلية

كان ذلك أول صيف يقضيه أنطونيوس فى مصر ، فأعجبت ضاحية نيكوبوليس ، وراقته المنزل الصغير الذى آوى اليه مع حببته ، وافضى إليها برغبته فى أن يقضى فيه أسابيع بل شهورا أخرى اذا سمحت الظروف .

وقالت كليوباترة :

— عند ما تعود إلينا قريبا من رحلتك الموفقة أبها الحبيب ، ستجد هذه الدار معدة لاستقبالك ، جديرة بإقامتك فيها !

سار أنطونيوس الى الشرق على رأس جيشه لمحاربة الفرس وغيرهم من الشعوب العاصية ، وكان ذكر كليوباترة التى سحرته بحبها يملأ قلبه ويحول أحيانا دون محافظته على التوازن فى ميادين القتال وساعات الخطر ، فلم يوفق فى تلك الرحلة العسكرية كما كان يرجو . وأخيرا أمر جيشه بالارتداد وعاد أدراجه الى مصر

فوجد الدار على غير ما كانت عند ما ودع حببته فيها . فان كليوباترة عهدت فى أثناء غيابه الى كبار المهندسين فى عاصمة ملكها ، فى عدم المنزل الصغير وتشبيد قصر على أنقاضه ، يكون أهلا لسكن الضيف العظيم

وقامت الدار الجديدة فكانت جنة فيحاء ، فرشت حجراها بأفخر الرياش ، وغرست فى حديقتها الأزهار من كل نوع ولون ، وعزلت من المنازل القسرية بحيث أصبحت فى مأمن تام من أعين المتطفلين : ونصبت فى حديقتها وعلى مدخل قاعاتها التماثيل :

ووصل أنطونيوس الى الإسكندرية فقادته كليوباترة الى القصر

فلوق انطونيوس عتقها بدراعيه ، وقال في اندفاع الحب الذي
انساه الحب اقدس واجباته وحجب عنه المخاطر المحدقة به :
- سوف انصرف بكليتي الى عبادتك هنا يا كليوباترة يا « سيدة
الجميع »

وانغمس الحبيبان منذ ذلك اليوم في خضم الملذات ، وتركوا
الافكار تسوقهما الى النسيان التي تريد ، لا يدركان من حياتهما غير
الساعة التي يعيشان فيها ، ولا يفتنان الى ما كان احداهما يدبرونه
لهما من مكاييد

وفي ذلك القصر تبادل الحبيبان جميعا الاقسام المظلمة بأن
يظلا على الوفاء مقيمين
وهناك اقسمت كليوباترة واقسم انطونيوس بالآيظل احدهما على
قيد الحياة اذا امتدت يد المنون قبله الى الآخر
وهناك أعلن القائد الروماني عزمه على الزواج بكليوباترة ، بعد
ان طلق زوجته الرومانية اوكتافيا ، فكان اعلانه هذا بمثابة خروج على
وطنه واهله

وقد وقع ذلك كله في سنة ٣٦ قبل الميلاد ، فكان بدء الصراع بين
انطونيوس حبيب كليوباترة والقسايس على الشطر الشرقي من
الامبراطورية الرومانية ، واوكتافوس : شقيق زوجته المطلقة ، وسيد
الشطر الغربي من تلك الامبراطورية

جعل كل من الخصمين بعد العدة للمعارك القادمة ، وكل منهما
يعلم ان انهزامه معناه الموت المحقق . وظل انطونيوس وكليوباترة في
أناء ذلك ياويان في الصيف الى ذلك القصر في نيكوبوليس ، كأنهما قد
ادركا ان الوداع قريب وان تنفيذ القسم الذي قطعاه على نفسيهما
اوشك ان يآزف

وفي اوائل سنة ٣٢ قبل الميلاد اطلقت الحرب بين العدوين
الرومانيين من عقابها ، ووضعت كليوباترة اسطولها تحت تصرف
الحبيب الذي خاضع عشيرته ووطنه من أجلها

كان يوم ٢ من سبتمبر سنة ٣١ قبل الميلاد يوما من ايام التاريخ
المشهودة . ففيه وقعت معركة اكنيوم البحرية بين السفن الرومانية
الغربية بقيادة اوكتافوس ، والسفن الرومانية الشرقية وقد انضمت
اليها السفن المصرية بقيادة انطونيوس

وارادت كليوباترة ان تشهد المعركة بنفسها ، فالتحقت سفينتها
بالاسطول المحارب . ولكن ، لسبب ما ، دب الرعب في نفس الملكة ،
فاصدرت عند ما حمى وطيس اقتتال امرها الى ربان السفينة بأن يدير
دفعتها الى شواطئ مصر ويهرب بها من حومة الوغى !

وفي لحظات معدودات ، كان الاسطول المصرى كله قد ابتعد
«وجهته الاسكندرية»

فضاع صواب انطونيوس ، وفر من الميدان ، وصعد الى سسيفينة
كليوباترة ! تاركا اسطوله لقمة سائغة لعدوه !

وسجل التاريخ في ذلك اليوم حادثا من اروع حوادثه : حادث
طشيعام ملك كامل ، وشرف عسكري كان نقيبا ، وسلطان لم يكن يعادله
في العالم سلطان ، في سبيل امرأة !



كان في وسع انطونيوس ان يستعد للدفاع في الاسكندرية وان
يحتفظ بجزء من امبراطوريته الواسعة ، وكان في وسع كليوباترة ان
تقشد ازره في ذلك وتحتفظ بعرش تبواه آباؤها واجدادها مدة ثلاثة
اجيال كاملة . ولكن الحب كان يعنى الرجل والمرأة الى حد غفلا معه
من الحقائق والوقائع . فما يلتفت بهما السفن ارض الامان على شواطئ
مصر ، حتى عادا الى الانغماس في ملذاتهما اكثر من قبل !

أثر انطونيوس وكليوباترة قضاء أيامهما ولياليهما في القصر بدل
ان ينصرفا الى اعداد الحصون والاسوار للدفاع . وجمع القائد
الروماني حوله عصابة من الشبان والشابات أطلق عليها اسم « الذين
حولوا على الموت معه » وراح يبحث عن الساوى والعزاء عن انهزامه ،
بين ذراعى حبيته وفي أقداح أنشراح !

وقضى انطونيوس وكليوباترة فصل الصيف فى نيكوبوليس .
شهدت نيكوبوليس بزوغ الحب بين الملكة والقائد ، وشهدت ايضا
قرب ذلك الحب

ونظر الشعب الى ذلك كله نظرة ملؤها الدهشة والتساؤل ،
واطلقوا على الضاحية انتى شهدت فصول تلك المأساة العجيبة اسم
« مصيف المحبين »

وجعلت كليوباترة تنفث في اقامة المآدب وطلبت من الطهارة ان يعدوا
لها الاطعمة النادرة ، ومن الساقين ان يجيشوا لها بالذ الخمر واعتقها ،
وكانت تشرب مع الحبيب في قدح واحد ، بعد ان تذيب فيه لؤلؤة من
الآلء عقدها ، لكى تزيد انخمر طعما . ! .

ولكن تلك الحياة الجنونية لم تدم . فان روما كانت قد عزمت
على التخلص من القائد المتمرد الخارج على ارادتها ، ومن الملكة التى
كان جمالها سببا لتمرده وخروجه

وأدركت كليوباترة انها هالكة وإن ذلك الصيف الذى تقضيه فى
نيكوبوليس لن يعقبه صيف آخر ، فجعلت تعد لنفسها قبرا لائقا بها

شيد ذلك القبر فى معبد ايزيس بالاسكندرية ، وعند ما وصلت
جيوش أوكتافيوس الى مصر ، حبست الملكة نفسها فى القبر وسدّت
المنافذ التى تؤدى اليه

وكان ما نقله الينا التاريخ من انهزام انطونيوس ، وبلوغه خبر موت حبيبته ، وانتحاره ، ثم معرفته أن كليوباترة لا تزال حية في قبرها ، وحمله اليها ، وموته بين يديها ، ثم انتحارها بلسعة الحية ، ونزول الستار على المفاجعة !

بر انطونيوس وكليوباترة بالقسم فمات الاثنان ولم يطق احدهما الحياة بعد ذهاب رفيقه

كانت ضاحية نيكوبوليس ، التي سماها سكان الاسكندرية في عهد كليوباترة « مصيف المحبين » والتي شيدت فيها الملكة قصرها بين المكان المسمى الآن « بولكلي » والمكان المسمى « سان استغانو »

وقد مرت الاجيال والمصطفون مازالوا يفقدون على شواطئ البحر بين الكائين ، والمحبون مازالوا يتبادلون الهوى امام الأمواج والصخور . فليذكروا أن « مصيف المحبين » كان يمتد على تلك الشواطئ ، وأن ربة الحسن والدلال ، وسيدة النساء المحبات ، كليوباترة ملكة مصر ، أمضت في ذلك المكان ، أطيب ساعات حياتها .

محتوقة كلو بايرة

ما أكثر المأسى الصغيرة المتفرعة عن المأساة
الكبرى ، التى عاشتها ملكة افتدھا حبھا الإعمى
عرشا كان بوسعھا أن تحتفظ به ، لو عرفت
كيف تتحكم فى قلبھا •



انتحار كليوباترة

اشارت كليوباترة الى الاماء والعبيد بالانصراف ، فسجدوا الى الارض في حضرتها ، ثم تواروا وراء السجف والاعمدة والجدران ، وبقيت ملكة مصر الفاتنة مع وصيفتها المعتوقة سيدونيا ، في القاعة الواسعة الأرجاء .

وقالت كليوباترة :

— لقد مللت الانتظار ياسيدونيا ، وضاق صدى ولم أعد قادرة على الاحتفاظ بالسر الذي اكتمه عن الجميع !

فقبلت الفتاة يد مولاتها ومالت برأسها على ركبة كليوباترة وقالت :

— أى سر تعنين أيتها الملكة السعيدة ؟ أتسمحين لهذه الأمة الطائعة ، والخادمة الامينة ، المدينة لك بالحياة والحرية ، بأن تستطلع مكنونات صدرك وتخفف ان استطاعت من كآبتك ؟

— اننى احبك كثيرا ياسيدونيا ولا اخالك تشكين في عطفى . فقد اطلقت حربتك ، وحطمت قيود الدل والعبودية التى ورثتها عن ابيك وامك . فأصبحت منذ سنة كاملة معتوقة حرة طليقة . شاك في هذا القصر وفي هذا البلد شأن الاحرار لا شأن الاماء والعبيد . وقد رغبت اليك في اختيار الرجل الذى تريد به زوجا لك ، فان وقع اختيارك على احد الجنود او على رجل من رجال القصر فهو لك وانت له ، وان وقع اختيارك على احد العبيد فانى اعتقه كما اعتقتك ويصبح لك وتصبحين له !

— نعم يامولاتى ، هذا ماسمعتك منك مرارا . وقد افضيت اليك بامنيتى منذ أيام وقلت لك اننى اختار النوى « هامو » زوجا لى .

— ان هامو عبد اسود . أرسله الى احد أمراء الإباحش هدية من لذن زوجته ، فاستخدمته فى السفن الحربية الراسية فى ميناء الاسكندرية وقد أجبتك الى رغبتك ، وحقت امنيتك ، فمنحت هامو الحرية وأصبح منذ أيام معتوقا مثلك . فهل أنت سعيدة يامريزتى ؟

— اننى سعيدة يامولاتى . ولكن سعادتى لن تكون كاملة الا اذا رايتك أنت سعيدة فرحة راضية !

فأمسكت كليوباترة عن الجواب ، ووضعت يدها على راس سيدونيا المعتوقة المخلصة المحبوبة ، فرفعت الفتاة نظرها ، وراحت دمعتين تنحدران من مقلتي الملكة على خديها الورديين . فقالت بصوت مضطرب :

— مولاتى ! ما بك ؟

فاجأتها الملكة :

— تذكرين ياسيدونيا ذلك القائد الروماني الشاب ، الذي رافقني الى الاسكندرية ، ثم رجل عنا على رأس جيشه اللجب لفتح الامصار واخضاع الممالك وضم بلاد مادي وفارس الى املاك الرومانيين ؟

— ماركوس انطونيوس ومن منا لا يذكره يا مولاتي . ونحن نعلم انه اصاب حظوة لديك ، وان قلبك يخفق بحبه ، وبطير شعاعا عليه ، وانك ترقبين عودته على احر من الجمر !

— لقد طالبت غيبته ياسيدونيا . واعلمى مالا يعلمه الآن سوى في هذا القصر : ان ماركوس انطونيوس سيهجر زوجته الرومانية اوكتافيا ويحلنى محلها . وسوف نجلس معاه على عرش واحد ، يخضع لصولجانه الشرق والغرب !

— ارجو ان تحقق الالهة آمالك يامولاتي !

ولكن انطونيوس ابطا في العودة وهذا ما يثير شجونى ويبعث القلق الى نفسى . انى اخاف عليه عادات الزمان ومكاييد الانسان . فارفعى معى اكف الصلاة للالهة ، ولنضرع اليها طالبين منها ان تحرس انطونيوس في غزواته وحروبه ، وفي كره وفره ، وفي ذهابه وابطه !

وسجلت كليوباترة وسجلت سيدونيا . وارتفع صوت المراتين فى سكون الليل صاعدا الى مقر الالهة مسيرة الاقدار ، والقابضة على مصير الاخيار والاشرار !



هجر انطونيوس زوجته اوكتافيا وتزوج كليوباترة . ولكنه لم يجرؤ على المجاهرة بذلك ، واعلان نبا هذا الزواج فى روما ، خوفا من هياج الراى العام عايه ، وانصراف الانصار والاعوان عنه .

وكان خصمه وغريمه اوكتافىوس ، شقيق زوجته اوكتافيا ، يسعى الى هلاكه بجميع الوسائل المتوافرة لديه ، انتقاما لاخته من ناحية ، وطمعا فى الاستئثار بالسلطة دون انطونيوس من ناحية اخرى . فجعل هذا العدو العنيد يعمل على حمل انطونيوس على المجاهرة بامر زواجه ، والاعتراف امام الرومانيين بانه هجر زوجته الرومانية الاصيله لى يحل محلها الملكة الاغريقية المصرية .

وسعت كليوباترة من ناحيتها الى حمل انطونيوس على اعلان خبر زواجهما ، لى تبرر موقفها امام رعيتهما . فاضطر القائد الشاب فى النهاية الى الخضوع لاحكام الضرورة القاضية .

وفى سنة ٣٦ قبل الميلاد ، اذاع انطونيوس فى طول البلاد وعرضها من اطراف مصر الى تخوم الدولة الرومانية ، انه اصبح زوجا لكليوباترة ملكة مصر ، وان كليوباترة حلت بجواره محل زوجته المهجورة الرومانية اوكتافيا .

ومنذ ذلك الوقت جعل الرومانيون ينظرون اليه بعين الحذر والغدر ، نظروهم الى روماني عاق خائن النفس ، ويلتفون حول أوكتافىوس الرومانى البار المخلص الامين .

واعمى الحب بصر انطونيوس وبصيرته ، فلم يدرك الخطر الداهم الذى بدأ يحدث به منذ تلك الساعة التى اذاع فيها ما اذاعه .

وبعد مدة قصيرة ، امام الجموع المحتشدة فى ملعب الاسكندرية ، نادى ماركوس انطونيوس الرومانى بكليوباترة ملكة على مصر وقبرص وأفريقية وسورية . واشرك معها فى الملك الفتى قيصرون ابنها من يوليوس قيصر .

وكان قد استولت الملكة طفلين . فتنادى بأحدهما ملكا على ارمينيا وبارتيا ومادى . وبالأخر ملكا على غينية ولبيبا وقيليقيا ...

فكان جواب روما ان انعقد مجلس الشيوخ فيها ، واعلن على الملا ان ماركوس انطونيوس « خائن للوطن » .

وكان ذلك الاعلان نذيرا بالنهاية التى ختمت بها فيما بعد حياة المحبين .

وبدا القتال بين انطونيوس وأوكتافىوس فى سنة ٣٢ قبل الميلاد..



احبت كليوباترة حفلة زفاف رائعة ، دعت اليها حاشية القصر والاسر الشريفة فى الاسكندرية ، واعلنت فيها زواج وصيغتها المحبوبة ، سيدونيا الجميلة ، وقدمت للمدعوين الرجل الذى وقع عليه اختيار الفتاة : هامو العبد الحبشى ، الذى رفعته الملكة بارادتها السامية الى مصاف الاحرار والنبلاء .

واراد انطونيوس من ناحيته أن يكافئ معتوقة حبيبته على اخلاصها وتفانيها فى خدمة كليوباترة . فعين زوجها الاسود قائدا لحدى السفن الحربية الرومانية التى جاء بها الى مصر .

وكان انطونيوس يدعو زوج سيدونيا الحبشى الى كل حفلة يقيمها فى القصر . وكانت كليوباترة لاتبدو على سريرها امام الناس ، ولاتأوى الى خدرها طلبا للراحة الا والمعتوقة الجميلة بجانبها .

وكانت سيدونيا واسعة الحيلة ، تميل دائما الى المزاح ، وتبتكر لسيدنتها وسائل اللهو والتسلية فى ساعات الملل والضجر ، او تبحث لها عن منافذ للخروج من المأزق الصعبة ، فى الازمات النفسية او السياسية قالت لها كليوباترة ذات يوم :

— حدث امسى ياسيدونيا ان دعانى انطونيوس الى نزهة على شاطئ البحر فى حديقة القصر . فلبيت الدعسوة وطفنا معا فى أرجاء الحديقة . وجلسنا على ذلك التتوء البارز فوق المياه ، والذى تتكسر عليه الأمواج الزبدية . وهناك كاشفنى انطونيوس بأمر فوجئت به :

كاشفنى بالشكوك التى تخالج صدره من ناحيتى . فهو يعتقد اننى ارضب فى التخلص منه بان ادمس له السم فى الطعام والشراب . ان اعدائنا ياسيدونيا يحاولون بجميع الوسائل والطرق ان يفرقوا بينى وبين زوجى ، واخشى ان تدب بيننا العقارب ، وان ينتهى حبنا الجميل بفاجعة تنهار معها سعادتنا .

— ينبغي يامولامى ان تنظرى الى الحقائق ، وان تكونى دائما على حذر ، فان روما تعرف كيف تنتقم من الذين يسئون اليها . وقد اساء اليها انطونيوس اساءة عظيمة . ولكن مصيرك مرتبط الآن بمصيره . ولا بد من الاحتفاظ به ، وتفذية الحب فى صدره ، وحمله على ان يضع فيك نقته العمياء بلا قيد ولا شرط .

— وكيف السبيل الى ذلك ؟ ان ما افضى به الى انطونيوس امرى جعلنى اظن الى امر لم اظن اليه من قبل . اما رايت انه ، فى الولايم والحفلات ، يتجنب دائما ان يمد يده الى لون من الاطعمة قبل ان اسبقه اليه . ولا يتناول شرابا الا من الكأس التى اشرب فيها ؟ انه يخشى السم . ويخيل اليه انه فى كل طعام وفى كل شراب .

— مولاتى . سوف نلقى غدا على زوجك الرومانى درسا يعلم منه ان اشد النساء غيباء فى استطاعتها ان تخدع اذكى الرجال وابعدهم ادراكا ...



جلس انطونيوس كعادته كل يوم ، مع زوجته كليوباترة على الشرفة الفسيحة المطلة على البحر ، امام مخدع الملكة ، وحمل العبيد اليهما الوان الطعام واقداح الشراب .

فاكلا وشربا ...

وكانت كليوباترة تتناول الوان الطعام الواحد بعد الآخر . فتاكل منها وتقدم لزوجها . ثم تتناول الاقداح فتشرب وتسقى انطونيوس ..

وبعد ان سكر الاثنان ، اخذت كليوباترة يمينها كاسا تفيض بالخمر ، وتجبرت نصفها دفعة واحدة ، ثم نثرت فيها اوراق وردة حمراء كانت تحملها فى شعرها ، وقدمت الكاس للحبيب العزيز .

فتناول انطونيوس الكاس من يدها ورفعها الى فمه وهم بشربها .. فصاحت كليوباترة ممسكة بيده :

— لاشرب يا انطونيوس ! اعد الى هذه الكاس ..

فاعادها انطونيوس وقد اترسنت على وجهه امارات الدهشة .. ونظر الى كليوباترة وهو لا يدرك معنى ما تفعل ...

وقالت الملكة :

— سيدونيا ... خدى .

فأخذت سيدونيا الكأس من يد مولاتها . ونادت أحد العبيد
وامرته باسم الملكة أن يشرب ...

أطاع الرجل صافرا أمر كليوباترة ...

وبعد دقائق معدودة ، سقط على الأرض وفارقت روحه الجسد.

فطوقت كليوباترة عنق أنطونيوس بذراعيها وقالت وهى تغمر
رأسه بالقبيل :

— ايها المجنون الاعمى ! لو اردت التخلص منك ماعدت حيلة
لدى السم لك فى الطعام والشراب ولو بوردة كهذه .

فأدرك أنطونيوس أن الوردة مسمومة . وأن زوجته أرادت أن
تلقى عليه درسا وتبدد شكوكه بذلك الدرس .

وفى اليوم التالى قالت كليوباترة لسيدونيا :

— لقد نجحت حيلتك امس ، وكان الدرس رائعا قاسيا .

دارت رحى الحرب بين العدوين اللدودين أوكتافىوس وأنطونيوس
وسعى كل منهما الى القضاء على الآخر والاستئثار بالسلطان فى الشرق
والغرب .

وفى ٢ من سبتمبر سنة ٣١ قبل الميلاد التقت سفن أوكتافىوس
بسفن أنطونيوس وكليوباترة فى مياه «أكتيوم» على الساحل اليونانى .
وبدأت المعركة ...

وإذا بالسفن المصرية تعلق فجأة بعيدا عن دائرة القتال ...

وإذا بالسفن الرومانية الموالية لأنطونيوس تتبعها وتغر فى اثرها ..

وإذا بذلك اليوم المشهود يفتح أمام أوكتافىوس باب المجد على
مصر اعياه .

وإذا بكليوباترة ، بين يوم وليلة ، تنقلب على زوجها أنطونيوس ،
وتقيم فى سبيله العراقييل وتنصب له المكاييد .

كانت تلك اليونانية الساحرة الفاتنة التى تبوات عرش مصر ، قد
خدعت من قبل يوليوس قيصر العظيم وأوقعته فى حبها ثم خانت عهده
وخدعت بعده أنطونيوس وأوقعته فى حبها ثم خانت عهده أيضا .

وجعلت تفكر بعد أن ثبت لها أن أوكتافىوس منتصر وأنطونيوس
منهزم بلاشك أمام خصمه ، فى اغواء هذا الخصم والتسلط عليه .

وأدرك أنطونيوس الحقيقة المرة ، ولكن بعد فوات الوقت ..

مرت سنة كاملة منذ اليوم الذى انهزمت فيه سفن كليوباترة وانطونيوس بلا قتال فى اكتوبر ، والقائد الرومانى يتقلب على نيران الحب والغيرة والغيظ والاسى ، وكليوباترة تسحره بالفاظها تارة وتزجره تارة أخرى .

وفى الاول من اغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد وصل جيش اوكتافيوس الى ابواب الاسكندرية وخرج جيش انطونيوس للقاءه .

لايد من القتال . وستكون معركة فاصلة : فاما ان ينهزم الرومانيون بقيادة اوكتافيوس فيخلو الجو لانطونيوس . واما ان ينتصر اوكتافيوس فيخضع له الشرق والغرب ، ويقضى على انطونيوس وزوجته .

— سيدونيا .. تعالى .. لا اريد ان يلحق بى سواك يا صديقتى المحبوبة . هيا بنا الى ذلك الضريح المظلم .

— وهامو يامولاتى ؟ الا تسمحين له بالمجيء معنا ؟

— ليات .. وليسرع .

خرجت كليوباترة ومعها معنوقتها سيدونيا وهامو الحبشى الاسود ، من القصر الملكى فى الاسكندرية فى تلك الليلة الليلية ، تحت ستار الظلام الحالك ، ولجئوا الى الاقبية السوداء التى تضم اضرحة البطالسة آباء كليوباترة وأجدادها .

وسالت الملكة معنوقها هامو :

— هل نفذت اوامرى كما اصدرتها اليك ؟

— نعم يامولاتى . ان قواد الجيش وقواد السفن لن يطيعوا انطونيوس ولن يلبوا دعوته الى القتال ...

— اننى خائفة ياهامو ، خائفة باسيدونيا . واخشى ان يلحق بى انطونيوس الى هنا ، وينزل بى العقاب الذى استحقه . فياله من حب ينتهى اليوم بهذه الخاتمة المفجعة .

قضت كليوباترة ليلتها بين اضرحة الملوك فى تلك الاقبية المظلمة ..

وتمرد الجيش . وتمرد الاسطول ...

وأدرك ماركوس انطونيوس أن الدائرة قد دارت عليه فطعن نفسه بسيفه ومات منتحرا ...

ودخل اوكتافيوس مدينة الاسكندرية ظافرا منصورا ، وأعلن انه سيجر وراء مركبته ملكة مصر الحسناء مربوطة بشعرها ، وأنه سيطوف بها على هذه الصورة فى مدينة روما العظمى .

لكن كليوباترة لم تمكنه من نفسها . فماتت من لسعة حية حملها اليها فلاح مصرى بالتواطؤ مع المعتوق هامو الحبشى ، وزوجته سيدونيا وفى اليوم الذى مات فيه كليوباترة ، عثر جنود أوكتافىوس ، وهم يفتشون القصور والمنازل والأقبية ، على جثتين متعانقتين ، فى ضريح البطالسة : جثة العبد الحبشى المعتوق ، هامو القائد البحرى ، وجثة الجارية المعتوقة سيدونيا الجميلة . واستولى أوكتافىوس على كنوز البطالسة . واصبحت مصر منذ ذلك اليوم ولاية رومانية على رأسها حاكم روماني .

عاشقة الأمواج

كانت أمواج البحر مرتعا لها ، لا
يجاريها احد في شق عباها . ثم جاءت
الأقدار أن تصبح الأمواج لها كفنا !



ميلونا

سقط يوليوس قيصر العظيم مضرجا بدمه تحت خناجر القتلة .
الذين هاجموا كالدثاب المغترسة في مجلس الشيوخ الروماني بقيادة
بروتوس ، وكاسيوس ، في سنة ٤٤ قبل الميلاد ، فتولى الحكم بعده
ثلاثة رجال هم أوكتافيوس ، وماركوس أنطونيوس ، وليبيدوس أنطونيوس
فرحف الثاني الى الشرق حيث رفع اعلام الرومانيين ، وعزم على متابعة
السير الى مصر ، للقاء الملكة كليوباترة الجميلة الساحرة ، التي كان
قيصر قد فتن بها عندما هبط الاسكندرية ، بعد القضاء على اعدائه
ومزاحميه .

وكان أنطونيوس يشك في ولاء الملكة المصرية الاغريقية ، فأوفد
اليها الرسل من مدينة طرسوس بسورية . لتأتى الى مركز القيادة
الرومانية في تلك المدينة ، وتقدم له الحساب .

وقد سافرت الملكة في موكب فخم لم يذكر التاريخ مثيلا له في
العظمة والجلال ، واستطاعت ارضاء القائد الروماني الشاب الذي بدا
حديثه معها بلهجة السيد الأمر وختمه بلهجة العبد الطائع .

كان ذلك في فصل الشتاء بين سنتي ٤٢ و ٤١ قبل الميلاد . وفي
تلك الليلة التي جمعت بين كليوباترة وأنطونيوس طويت صفحة من
صفحات التاريخ ونشرت صفحة جديدة ملأى بالروائع والفواجع .

عادت كليوباترة الى الاسكندرية ومعها القائد الروماني ، وقد
امسى محبا مغرما ، وعزم منذ ذلك الوقت على الاستئثار بالملك في
المشرق الروماني ، واشراك حبيبته فيه .

واسطحب أنطونيوس من سورية طائفة من الحسان جعلن في
خدمة الملكة المحبوبة ، وبين أولئك الحسان فتاة فينيقية يتيمة ، جرى
بها الى مركز القائد الروماني مع سبايا الحرب اسمها « ميلونا » .

عرفت ميلونا بين رفيقاتها ، بأنها تحسن الصيد والقنص والسباحة
وتمارس اعمال الفروسية بأنواعها ، وكانت الى ذلك لا تجهل فنون
البهجة وخدمة ربات القصور .

وقد عرفت كيف تتقرب من سيدة قصر الاسكندرية ، فلم يكد
ينقضى شهر واحد على اقامتها في مقرها الجديد ، حتى آترتها كليوباترة
على بقية الخدم ، وكانت تدعوها الى ملازمتها في كل نزهة خارج المدينة
وخصوصا عندما تذهب الملكة الى شاطئ البحر . للاستحمام والجلوس
على الصخور .

ذهب انطونيوس على رأس جيش لفتح بلاد فارس ومادى ،
ولكنه عاد مسرعا دون أن يكمل الفوز مسعاه ، وعندما وصل الى
الاسكندرية ، وضمته كليوباترة بين ذراعيها بعد طول الغياب ، أدرك
انه أصبح ملكا لها فاقدم على عمل كان الخطوة الاولى نحو هلاكه ، فقد
طلق زوجته اوكتافيا وأعلن زواجه بملكة مصر كليوباترة الجميلة .

كان ذلك فى سنة ٣٦ قبل الميلاد . فلم يكد الخبر ينتهى الى روما
حتى قام اوكتافىوس يعلن من فوق المنابر ، أن انطونيوس أصبح خائنا
للوطن وعبدوا لروما ..

لكن انطونيوس لم يعبا بغضب قومه وثورة زميله ، بل طلب الى
كليوباترة أن تقيم الافراح فى الاسكندرية ، احتفالا بالزواج الميمون .

فبرزت المدينة فى أبهى مظاهرها ، ونصبت الخيام على شاطئ
البحر ، خارج الاسكندرية ، حيث ضرب قبصر خيامه عندما هبط ارض
مصر ، وهو المكان الذى أطلق عليه منذ ذلك الوقت اسم « كامبوتشيزارى »
« أو » معسكر قيصر ..

وهناك ، امام امواج البحر المتكسرة على الصخور فوق الرمال
الناعمة ، جلس المدعوون حول انطونيوس وكليوباترة يقرعون الكنوس
ويشربون السلاف ، ويتفرجون بمصارعة العبيد ورقص الجوارى
وسباق السباحين والسباحات . وبينما كان كل منهم منصرفا الى
ملاده ، قتلت كليوباترة زوجها :

— انظر ايها الحبيب العزيز : ان هذه الفتاة التى تخوض عباب
الامواج امامنا ، فيعجز الرجال عن اللحاق بها ، لامهر امرأة نزلت الى
البحر وعامت فوق مياهه . الا تذكرها ؟

— كلا ايها المحبوبة المعبودة .

— ميلونا ! الا تذكر ميلونا التى جئت بها من سورية ؟
— لقد نسيت اسمها . ولكننى اذكر الآن ماسمته عنها . فقد
قيل لى ان فى استطاعتها البقاء تحت الماء مدة طويلة ، بلا عناء ...

— هذا صحيح .. فقد رأيت من مهارتها العجب العجائب .

وارسلت كليوباترة فى طلب الفتاة فجاءت الى مضرب الملكة وعليها
معطف من الحرير الشفاف ، يلف جسما بديع التكوين ، متناسب
مع الاعضاء يعيل الى السمرة .. فبادرتها انطونيوس قائلا :

— الا ترغبين فى الزواج باميلونا ؟ حرام ان يبقى هذا الجمال
الساحر مهملًا .

فنزّرت الفتاة الى القائد الجميل بلا خوف ولا وجل وأجابت :

— اننى أرغب فى الزواج با انطونيوس وحيدا لو اتاحت لى الاقدار
أن أجد الزوج الجميل الذى يشبهك . ولكننى اقسمت الا اتخذ لى

بعلا غير الرجل الذي يفوز على في السباحة . ولم اجد بعد ذلك الرجل المنشود ، وأخشى الا أجده أبدا .

— وما حملك على هذا القسم العجيب ؟

— كنت في بلادى مخطوبة لشاب سورى مثلى ، كان فريد عصره في السباحة ، يعوم على وجه الماء ، ويشق عباب البحر فيسبق السفن ولكنه لقي حتفه في القتال فمات مدافعا عن أبى ، الذى قتل في المعركة التى سقط فيها خطيبى ، فامتزجت دماء الاثنين ، وفاضت روحهما الطاهرتان في لحظة واحدة . ومنذ ذلك الوقت بقيت وحيدة في هذا العالم ، لاسند لى ولا معين . فاذا كان عندك ذلك الرجل الماهر في السباحة كما كان خطيبى ، فاننى أعطيه قلبى دون أن أندم على ما فعلت . ودون أن أغضب روح الحبيب الاول .

أصغى انطونيوس الى قصة الفتاة . ثم أفرغ كأسه في نعه للمرة العاشرة ، وصاح بالضباط والجنود الواقفين حوله قائلا :

— اليس بينكم يا أبناء روما ومصر ، من يغلب هذه السورية الحسنة في السباحة فيأخذها زوجة ، وينعم بما أغدقته عليها الطبيعة من سحر وجمال ؟ الى البحر ياطلبي الزواج .

وكانت ساعة عجيبة ، تلك الساعة التى اندفع فيها الرجال والشبان والصبيان كالسيل المتدفق لمقابلة الامواج ، من شاطئ « كامبو تشيزارى » .

نزل الى البحر عشرة ، وتبعهم عشرون فعمشرون . ولحق بهم آخرون وآخرون . وبدأ البحر كأن عشرات السفن قد تحطمت فيه ، فالتفت برجالها الى اليم ، ونزلت ميلونا الحسنة بين تلك الجموع السابحة ، فجعلت تخترق صفوفهم وتشق الامواج ، ثم تغيب عن الانظار تحت الماء وتبدو بعد لحظة في مكان آخر ، وكل يحاول اللحاق بها على غير جدوى .

وظلت المباراة ساعات ، تعب فيها من تعب فعاد الى الشاطئ منهوك القوى ، وثابر فيها من ثابر ففرق ، أو أشرف على الفرق ، فانقذته ميلونا نفسها من الهلاك . وأخيرا ، أصدرت كليوباترة أمرها بانتهاء المباراة ، وأعلنت فوز ميلونا السباحة التى لاتجارى .

مرت الاعوام وانطونيوس وكليوباترة يلعبان بالحب ويرتشفان كنوسه . وميلونا تبحث عن الزوج المنشود فلا تجده .

وكانت روما تعد العدة للقضاء على انطونيوس الخائن في نظر الرومانيين أجمعين . فدارت رحى القتال بين الفريقين برا وبحرا ، حتى دارت الدائرة على انطونيوس اذ تخلت عنه كليوباترة بان أمرت سفن مصر بالعودة الى الاسكندرية قبل بدء المعركة ، فتهبها انطونيوس . وأصبح أوكتافىوس سيد الموقف بلا قتال .

حمل أوكتافىوس على سورية ففتحها ، ودخل الى مصر حيث
زحف على الاسكندرية لمقاتلة خصمه . فالتقى الجيشان فى «نيكوبوليس»
وهى ضاحية من ضواحي الاسكندرية بين الكائين اللذين تقوم فيهما
الآن ضاحيتا « بولكلى » و «سان استيفانو» ، وفى تلك المعركة سجل
النصر النهائية لاوكتافىوس . فقد عصى رجال أنطونىوس طاعة قائدهم
ويقال : انهم فعلوا ذلك بأمر خفى من كليوباترة ، التى غرتها وعود
أوكتافىوس فخانت حبيبها ظنا منها أنها ستحتفظ بعرشها من هذا
السييل .

فى الأول من أغسطس سنة ٣٠ قبل الميلاد ، دخل أوكتافىوس
مدينة الاسكندرية فاتحا ، بعد ان يئس أنطونىوس من النصر ، فانتحر
مفضلا الموت على الأسر .

وكانت كليوباترة ترجو النجاة ، لكنها أدركت فى النهاية ان
أوكتافىوس لن يصفح عنها بل سيأخذها الى روما ذليلة مهانة .
فانتحرت كحبيبها .

وأعلن أوكتافىوس بعد وفاة خصمه ، ان أرض مصر أصبحت
ولاية رومانية . وانه هو الوارث لكنوز البطالسة .

خرجت ميلونا من قصر الملكة فى ذلك اليوم المشؤم ، هائمة على
وجهها ، واجتازت أسوار المدينة آملة ان تجد باب النجاة مفتوحا .
ولكنها عندما وصلت الى شاطئ البحر ، « كامبو تشيزارى » وجدت
نفسها بين مضارب الجند ، وقد نصبت فى المكان الذى نصب فيه قيصر
خيامه قبل ذلك الوقت ببضعة أعوام .

رأها الجنود حيرى مذعورة ، تتخطف الصخور وتحاول الهرب ،
فوثبوا الى ناحيتها وحاولوا اللحاق بها وهم يصيحون :
— امرأة مصرية ! امرأة مصرية !

أدركت الفتاة انها هالكة بلا شك ، لو وقعت فى ايدى اولئك
السكرارى ، ففكرت فى الانتحار ثم صاحت بالجنود المسرعين خلفها قائلة :
— يا ابناء الدثبة الرومانية ! اذا كنتم تريدون امرأة جميلة ،
فالحقوا بها الى البحر ، ومن يستطيع منكم ان يدرکها ، يقر بها ؟ .

والقت ميلونا بنفسها فى البحر ، وجعلت تخوض عباب الماء .
فاستولت الحماسة على بعض الجنود ، فزلقوا وراها الى البحر
وشهد شاطئ « كامبو تشيزارى » مباراة ثانية ، كذلك التى شهدا
يوم الاحتفال بزواج أنطونىوس وكليوباترة .

ولكنها مباراة من نوع آخر .. فقد نزلت ميلونا الى البحر فى
هذه المرة وهى عازمة على ألا تعود .. ولم تعد .

ذات القلبين

أحببت رجلين ، وأخلصت ، لثلاثين ،
وقتلتم نفسيهما مرتين ، فكان حبها
أعجب حب تحدث عنه الناس .



كلوبانرة مالكة مصر

- احبيننى يافينا ؟
 - احبك يا لوكوس .
 - اتقسمين لى يمين الاخلاص فى الحب ؟
 - الى النهاية .
 - اذن سارحل هادئا مرتاح البال الى الحروب والغزوات ، واثقا
 بك هالما انك ستفكرين فى وترفعين صلواتك الى الالهة لكى تاخذ بيدى
 وتدفع عنى الموت فى الميادين
 قال لوكوس هذا وطبع على جبين حبيبته وفينا ، قبله حارة وانصرف
 من مخدمها هائدا الى ثكنات الجيش .
 وبعد نصف ساعة ، كان فى المخدع شاب آخر ، بهى الطلعة طويل
 القامة قوى العضلات مثل لوكوس .
 ودار بينه وبين الفتاة فينا الحديث الآتى :
 - احبيننى يافينا ؟
 - احبك يلاجوس .
 - اتقسمين لى يمين الاخلاص فى الحب ؟
 - الى النهاية .
 - اذن سارحل هادئا مرتاح البال الى الحروب والغزوات ، واثقا
 بك ، هالما انك ستفكرين فى وترفعين صلواتك الى الالهة لكى تاخذ بيدى
 وتدفع عنى الموت فى الميادين .
 قال لاجوس هذا ، وطبع على جبين حبيبته « فينا » قبله حارة
 مثل قبله لوكوس - وانصرف من مخدمها هائدا الى ثكنات الجيش .

امراة تحب رجلين .
 ليس هذا مايدعو الى الدهشة والاستغراب ، فان التاريخ يذكر
 فى سجلاته اكثر من حادث واحد من هذا النوع . انما العجب كل العجب
 فى ان تحب المراة رجلين حبا قويا عميقا ، بدفعها الى التضحية فى سبيل
 الاثنين . والعجب كل العجب فى ان يكون كل من الرجلين المحبوبين هالما
 بمكانة خصمه لدى المراة ، وان يكون راضيا بذلك ، متفقا مع غريمه
 على ان ينتحى احد الاثنين طائعا مستسلما عندما تجاهر الفتاة فى
 حضورهما بانها تفضل هذا على ذاك ، او ذاك على هذا ..

- احبيننى يافينا ؟
 تلك كانت حالة الحبيين المحبوبين ، لوكوس الرومانى ولاجوس
 اليونانى ، مع الفتاة فينا ، فى قصر ملكة مصر كليوباترة .

من « فينا » المثيرة ذلك الحب المزدوج ، وصاحبة القلب المشطور
الى شطرين ؟

هى فتاة مجهولة الاصل ، لم يعرف احد من امرها شيئا ، لان
الرجل الذى كان مطلعا على سر حياتها مات فى القصر فجأة ، وقيل على
اثر موته ان يدا اتيمة دست له السم فى الطعام ، وان تلك اليد هى يد
الفتاة « فينا » نفسها . لانها كانت تريد التخلص من سيطرته عليها .

اما الرجل فاسمه « عمرو » وهو عربى جاء مصر بعد دخول
يوليوس قيصر الى الاسكندرية وجلس كيوباترة على عرش البطالسة .
وكانت الفتاة « فينا » تصحبه وهى فى العاشرة من عمرها

وانها كيوباترة فاحبتها واخذتها وصيفة ونجبة . . وكانت
الوصائف الاخرى فى القصر يتهامن فيما بينهن قاتلات :

— هذه الفتاة هى اخت الملكة . فان اباه بطليموس كان يحب
امراة عربية . وقد استولدها هذه اتيمة ثم قتلها وارسل الطفلة مع
احد القربين اليه واعطاه مبلغا من المال ، قائلا له ان يرحل عن مصر
ولا يعود اليها الا بعد موت الملك . فعاد عمرو مع الفتاة ابنة بطليموس
بعد ان آل العرش الى كيوباترة ! . .

هذا ما كانت الوصائف يتهامن به فى القصر . وقد بلغت هذه
الاشاعات مسامع الملكة فثار ثأرها ، وغضبت على وصائفها و ساءها
ان تتناقل الالسنه خبرا مثل هذا وارادت ان تكذبه علنسا ، فاغدت
نعمها على الفتاة الغريبة اليتيمة ، وقدمتها لماركوس انطونيوس حبيبها
الرومانى التيم ، قائلة له : انها ابنة قائد من قواد الجيش فى عهد ابيها ،
وانها تحبها حبا جما وتعاملها فى القصر معاملة الأخت لاختها .

وكانت الفتاة « فينا » غريبة الاطوار ، غريبة الاخلاق ، غريبة
الاعمال ، يخيل الى من يعاشرها ويجالسها انها مزيج من المتناقضات ،
او انها مكونة من شخصين شاعت الطبيعة ان تجعل منهما شخصا واحدا
كان فى استطاعة فينا ان تضحك وتبكي فى آن واحد ، وان تبدو
فى لحظة واحدة هادئة هائجة ، راضية ناقمة ، نائمة مستيقظة !

وتلك الظواهر الغريبة الشاذة كانت تحمل رجال الحاشية الملكية
ونساء القصر على الاعتقاد بان الفتاة المقربة من الملكة ليست امراة كبقية
النساء ، وان للآلهة السيطرة على مقدرات البشر يدا فى تكوينها !

وكان اغرب تلك الظواهر الدامية الى الدهشة والتساؤل ، ميل
الفتاة « فينا » الى رجلين وشطرت قلبها شطرين . فانها كانت تحب
« لوكوس » الضابط الرومانى فى حرس كيوباتره ، وكانت تحب
« لاجوس » الضابط اليونانى فى فرقة « فرسان الموت » . وكانت تجاهر
امام الاثنين بانها تحب كلا منهما حبا خالصا اكيدا ، وانها لا تفرق
ولا تستطيع ان تفرق بين الواحد والاخر !

وكانت الملكة كيوباترة ، وهى المجربة ، والمطلعة العليمة بأسرار

أما كان الناس يعتقدون أن للآلهة يدا في تكوين الفتاة الحسناء
المجهولة الأصل ؟

ومضت أسابيع أخرى . وتمثلت « فينا » للشقاء دون أن يعود
قلبها إلى الخفقان .

وحمل الرسل أخبارا سارة عن فوز « فرسان الموت » في تأديب
القبائل العاصية وإعادها إلى حظيرة الطاعة

وكانت هذه الأخبار كالأخبار السابقة ممزوجة بالأسى : فإن فرقة
الفرسان فقدت فريقا من رجالها الأشداء . وكان الضابط لاجوس بين
القتلى الذين حمل الرسل خبر مصرعهم في ساعة الشرف !

علمت « فينا » بما حل بحبيبها الآخر ، فلم تطلق صبرا على هذه الكارثة
وتناولت خنجرها الذهبي المعهود ، وأغمدت نصله في صدرها - ناحية
اليمين - وخرت على سريرها غارقة في بحر من الدماء !

كانت الطعنة الثانية هي القاضية . فقد عجز أطباء القصر عن إعادة
الحياة إلى جسم الفتاة العاشقة ، فبكتها الملكة كليوباترة ، وأمرت بأن
تدفن في حدائق القصر تحت شرفة مولاتها ، وأن تزرع الأزهار على
ضريحها !

ولكن الملكة أرادت أن تحتفظ بأثر من آثار الفتاة التي قتلت نفسها
مرتين في سبيل حبيبها المزدوج . فطلبت من الأطباء أن ينتزعوا قلب « فينا »
من صدرها ، وأن يضعوه في أناء زجاجي ويرسلوه إلى كليوباترة
للاحتفاظ به في حجرتها التي كانت تذوق فيها مع أنطونيوس أذ ساعات
مرت بها في حياتها

وأجيببت الملكة إلى طلبها . ومزق مبضع الأطباء صدر الفتاة !

ووقفت الأطباء مذهولين دهشين مذعورين أمام المنظر الذي وقعت
عليه عيونهم ولمسته أيديهم . فقد وجدوا في صدر الفتاة قلبين !

وجدوا قلبا إلى اليسار !

وجدوا قلبا آخر إلى اليمين !

كانت الفتاة فينا إذن ذات قلبين ، وكانت ذات حبين ، وكانت ذات
شخصيتين متباينتين أفرغت في جسم واحد !

إذن فهي امرأتان في امرأة

وكان غرامها أعجب غرام عرفه التاريخ . فقد خفق قلبها لايسر
بحب الضابط لوكوس الروماني . وخفق قلبها اليمين بحب لاجوس
الضابط اليوناني . وقتلت نفسها مرتين بأن مزقت قلبها الذي أحب
لوكوس بعد موته . ومزقت قلبها الذي أحب لاجوس بعد موته أيضا !

انحب ، تعلم ذلك وتشجع الفتاة على المضي في الحبيب معا ، الى ان يجيء
اليوم الذي تشعر فيه بان في استطاعتها ان تستغنى عن احد الحبيين
دون ان يصاب قلبها بجروح لدميه !

وشاهد سكان القصر الملكي ، في وقت من الاوقات ، اعجب حب
عرفوه : حب الفتاة « فينا » المجهولة الاصل ، وظهورها امام الناس
متابطة ذراعي رجلين ه هما في الواقع صديقان وخصمان في آن واحد !

تمردت فرقة من الجيش الروماني الذي تبع ماركوس انطونيوس
الى مصر واقام فيها مع القائد الحبيب : فزحف حرس الملكة على اعصاة
لتأديبهم وذهب الضابط لوكوس الى الميدان

وتمردت القبائل على الحدود ، فزحفت فرقة « فرسان الموت »
على العصاة لتأديبهم وذهب الضابط لاجوس الى الميدان .

وعكفت انفتاة فينا على الصلاة ، وجبست نفسها في حجرتها
وجعلت تضرع الى الالهة ليلا ونهارا بان تحرس الحبيين في ساحات
الوغي ، وترد عنهما الاسنة والسيوف !

مضى اسبوعان ثم مضى اسبوع ثالث ، واذا بالرسول تعود الى
القصر حاملة اخبارا سارة من فوز الحرس في خنق عصيان الرومانيين
واعادتهم الى حظيرة الطاعة !

لكن تلك الاخبار كانت مزوجة بالاسى : فان فرقة الحرس فقدت
فريقا من رجالها الأشداء . وكان الضابط اوكوس بين القتلى الذين
حمل الرسل خبر مصرعهم في ساحة الشرف !

علمت فينا بما حل بحبيبها ، فلم تطق صبرا على هذه الكارثة
وتناولت خنجرها الذهبى الصغير ، وهو هدية من الملكة كليوباترة :
وأغمدت نصله في صدرها . فسقطت على الأرض والدم يسيل من
جرحها ...

بل من قلبها ...

فان الفتاة الواهية طعنت نفسها بذلك الخنجر الذهبى ناحية
اليسار من صدرها المرمرى ه فمزق النصل الحاد قلب فينا تمزيقا :
وتدفقت الدماء منه على بلاط الحجرة امام تماثيل الآلهة التى لم تستجيب
صلوات المسكينة !

ولكن حدث بعد ذلك ما جعل القصر كله يهوج كالبحر الزاخر ،
وتصاعد فيه الأصوات من كل ناحية وصوب: أصوات الدهشة وأصوات
الاستغاثة وأصوات الخوف والدمع !

مزق النصل قلب الفتاة ولكن الفتاة لم تمت ؟ ووقف قلبها من
الخفقان ولكن الحياة لم تفارق ذلك الجسد البديع !

وحفظ القلبان فى اناء زجاجى فى حجرة الملكة كليوباترة !

وعندما انهزمت جيوش الملكة وحليفها انطونيوس ، وانتحرالقائد
الرومانى ، ودخل عدوه أوكتافىوس الاسكندرية فائزا منصورا ، وماتت
كليوباترة تلك المينة المعروفة ، وجد الرومانى المنتصر أوكتافىوس ، فى
حجرة الملكة ، ذلك الاناء الزجاجى ، فحمله معه الى روما بعد أن سمع من
الرواة قصة الفتاة « فينا » ذات القلبين ، وذات الحبين !

وكان ذلك قئ سنة ٣٠ قبل الميلاد !

المصريّات الصائمات

لم يظنن صبرا على البقاء بعيدات منغيات عن
وطنهن ، فأضربن عن الطعام وأرغمن الامبراطور
الطاغية على اجابة طلبهن بالعودة !



الامبراطور نرون

نهض «يونتيوس» رسول قيصر من مقعده ، بعد أن استمع لشكاية المرأة بدون أن يقاطعها وهي تخاطبه باسمها وباسم رفيقاتها ، وساد القاعة صمت قصير ، مزق الرسول سكونه بقوله :

— إذا كان قيصر نيرون قد أوفدني اليكن رسولاً ووسيط خير ياسيرايا فذلك لانه يعرف الصلة المتينة التي تربطني بالبلد البعيد الذي جئت منه ، فإن زوجتي كما تعلمن جميعاً مصرية من هليوبوليس ، تزوجتها يوم كنت أقيم في بلادكم الجميلة ، في عهد الامبراطور السابق كلوديوس ، وهي الآن تقيم معي في روما ، وقد أصبحت هذه البلاد وطناً ثانياً لها ، تحبه بقدر ما تحب وطنها الاول مصر . وزوجتي وأنا يؤمننا أن تكوني ياسيرايا أنت ورفيقاتك في هذا القصر ، حزينات كئيبت ناقيات .

فقاطعت المرأة قائلة :

— ولكنني يا يونتيوس بسطت لك العوامل التي سببت لنا النقمة والكتابة والحزن ، ولست في حاجة الى التكرار لكي تقتنع بعدالة مانطلب من قيصر .

— هل لك أن تفرغى تلك المطالب في عبارات معدودة ؟
— نعم : قل لقيصر اننا نريد الرحيل عن روما والعودة الى بلادنا .
— وإذا رفض اجابتكن الى ما تطلبن ؟
— ننفذ وعيدنا ونضرب عن تناول الطعام ابتداء من صباح غد ، فالحياة خارج مصر لم تبق لها في نظرنا أية قيمة . فاما أن نعود ، واما أن نموت .
— ماذا ينقصكن هنا من اسباب الراحة وعوامل لتسلية واللؤ .
— لا ينقصنا شيء . . . ولكن ما نتمتع به كله لا يساوي عندنا نفحة من نسيم مصر ، وجرة من ماء النيل ! اننا نفضل الحرية في بيوتنا المتواضعة على الأسر في هذه القاعات الفخمة .
— ساحمل رغبتكن الى قيصر ، وأجيبكن برده في هذا المساء .

تسع نساء مصريات اعتصمن في قاعة من قاعات القصر الامبراطوري بروما ، وأرسلن الى نيرون الحاكم بأمره هذا الإنذار : « اما أن تعيدنا الى وطننا واما أن تشاهد موتنا البطيء جوعاً ، فيكون هذا وصمة عار في تاريخ ملكك ! » .

فمن هن ؟ ومن أين لهن تلك الجراءة ؟ وكيف فكرن في تلك الوسيلة المبتكرة للتأثير على قيصر والضغط على ارادته وارغامه على اطلاق سراحهن «سيرايا» ابنة كاهن مصري اشتهر بالعلم والتقوى ، ومات مقتولاً بيد

جندى روماني ثمل ، فكان لمصرعه رنة أسى بالاسكندرية ، في سنة ٤٥ للميلاد ، وحدث ما يشبه الفتنة في أسواق المدينة مما اضطر الحاكم الروماني الى القبض على الجندى وتسليمه الى عمال المرقا الذين وضعوه حجرا في عنقه والقوه في البحر بعد أن قتلوه ضربا بالعصى .

وكان الرومانيون في ذلك الوقت حريصين على استرضاء المصريين ، فتلقى الحاكم من الامبراطور الجديد «السيوس دوميسيوس نيرو» الذي اشتهر باسم «نيرون» أمرا بأن يدفع الى اسرة الكاهن القليل مبلغا من المال ويرسل ابنتيه الى روما مع بعض صديقاتهن ليقيم في جناح النساء بالقصر الامبراطوري مدة من الزمن .

وكانت روما محط انظار العالم ، ومصر تابعة لها ، وأمنية الرعايا جميعا في أنحاء الامبراطورية الشاسعة زيارة العاصمة والتمتع بمباهجها .

وسافرت سربا ابنة الكاهن المصري «زرتاسن» الى روما ، ومعها اختها «فلون» العازفة على القيثارة ، وخمس فتيات أخريات من بنات الاسكندرية المثقفات الجميلات ، واثنتان من الجوارى رفضتا البقاء في غياب الفتيات ابنتي الكاهن .

كان نيرون لا يزال دون العشرين . ولم تكتمل في أعماق نفسه بعد تلك الميل الحيوانية ، والقسوة البهيمية ، والرغبة في ازهاق النفوس وسفك الدماء ، مما جعل معاصرة يقولون عنه أن له «رأسا من حديد وقلبا من رصاص» .

استقبل نيرون الفتيات المصريات بمبارات الترحيب وابتسامات الرضا ، وأنزلهن في القصر الامبراطوري معززات مكرمات ، وخصص لهن جناحا من ذلك القصر وأمر بأن تجاب رغباتهن أيا كانت . ومرت سنة كاملة بدون أن تشعر الفتيات بضيق أو حرمان .

وكن يتساءلن : لماذا جاء بنا قيصر الى هذه المدينة ؟ ولماذا لا يسمح لنا بالعودة الى بلادنا ؟ و ٠٠٠ ؟

اسئلة لم تجد جوابا ، ولغز ظل غير مفهوم !

مرت الاعوام تحمل معها تغييرا في شخصية الامبراطور ، فقد تحول الشاب اللطيف المهذب المثقف ، الى وحش ظاميء للدماء . الى انسان ليس في صدره قلب انسان ، ولا في رأسه عقل انسان ، فهو لا يعقل لانه مجنون ولا يشعر لان قلبه خلو من كل عاطفة .

وكان يتفنن في تعذيب الناس ويبتكر من أساليب الارهاب والازهاق مالا تتفقت عنه الأدمغة المريضة .

ومما عمد اليه نيرون بالنسبة الى المصريات التسع اللواتي أنزلهن في قصره معززات مكرمات مدة ثلاثة اعوام ، ان أصدر أمره فجأة بأن تغلق عليهن أبواب الجناح الذي يقمن فيه ، وتسد بالحجارة ، ولا يبقى غير باب واحد يقف عنده الحراس بأسلحتهم ليمنعوا النساء من الخروج .

حبس نيرون المصريين التسع داخل الحجرات المخصصة لهم ، وأمر بأن يقوم العبيد والجواري بخدمتهم ؛ ولا يرفضن لهم طلبا ، ولا يحرمن الا شيئين : اثنين : الخروج من جناحين بالقصر ، واستقبال أحد من الرجال في مخادعهم .

وعبثا حاولت الفتيات التسع أن يعرفن لماذا حكم عليهن نيرون بهذه العقوبة القاسية : أن يبقين حبيسات في قصر فاخر الرياض ، لا يذهبن لزيارة أحد ، ولا يأتي أحد لزيارتهم .

وبعد مضي ستة شهور كاملة على بقائهن سجينات في القصر ، عزم على القيام بمحاولة يائسة للخلاص من تلك الحالة التي لا تطاق .

وطلبن من نيرون أن يصفى الى شكايتهن ، ولكنه لم يزرهن بنفسه ، بل أوفد اليهن صديقه ورفيقه بونتيوس ، الذي يعرفه ويعرفهن .

واستمع بونتيوس الى سيرايا ، وعاد الى الامبراطور يقص عليه ما سمع .



مرت سبعة أيام على الفتيات الصائمات وهن مستلقيات في مخادعهن يرفضن تناول الطعام الذي يحمله اليهن الخدم والعبيد في أطباق من الذهب والفضة .

وساءت حالتهم ، وبدأ على بعضهن الضعف والانهيار . وفجأة ، فتح باب الجناح الذي بقى غير موصد على مصراعيه ودخل منه نيرون وخلفه ليف من الرجال والنساء .

وضحك ضحكة عالية ردها الصدى بين جدران الغرف الصامتة الهائلة .

ودار في داخل تلك الغرف مشهد لم يحدث مثله في قصر ملك : فقد ركع الامبراطور الروماني الطاغية على ركبتيه امام النساء الصائمات وجعل يلاطفهن ويرجو منهن أن يعدلن عن الصوم ويضعن حدا لهذا الاضراب الغريب . ووقع نظره على قشارة « فيلون » ملقاة على الارض فوثب اليها . وأخذها بين يديه وجعل يعزف عليها لحنا شجيا من وضعه ، ويضئ أشودة من نظمه ، فيها ذكر الشرق ، وذكر مصر ، وذكر النيل والرمال الصفراء والشمس المحرقة .

وتوقف لحظة عن الغناء وقال مخاطبا سيرايا ورفيقاتها :

- لن أسمح لكن بالعودة الى مصر الا متى تيسر لي الذهاب معكن اليها . . . واذا كنت قد أمرت بأن تغلق عليكن الابواب ، ويحرم عليكن أن تقابلن أحدا في هذا القصر ، فما ذلك الا نزولا على رغبة الآلهة وتنفيذا لارادتها . . . وقد جئت الآن بنفسى اليكن لأطلعكن على السر الكامن خلف هذه المعاملة التي عاملتكن بها ، فاسمعن :

وأخذ نبرون قيثارته من جديد وراح يعزف ويتكلم فى آن واحد :
- عدت ذات ليلة من نزوة فى ضوء القمر ، واستلقيت على كومة من
الازهار فوق الشرفة المطلة على حديقة القصر ، وأغمضت عيني .. لم أكن
ولكننى لم أكن فى حالة صحو تام .. ورأيت رؤيا .. بدت لى ايزيس ،
ايزيس الربة التى يعبدها المصريون ويؤمن بقدرتها الرومانيون ، وقالت لى
يلفة غير لغة هذا البلد ، ولكننى فهمتها لأن الربة الجميلة نطقت بها ..
قالت لى ايزيس : يجب ان تعد العدة للسفر الى مصر يا نبرون ، والاقامة فى
الاسكندرية ، والتعبء فى هياكلها ، واصحب معك فى رحلتك القادمة ابنة
الكاهن زرتاسن والفتيات المصريات المقيعات معها فى قصرك ، واحرص على
راحتهن وسلامتهن .. فلو حدث أن أصيبت واحدة منهن بأذى ، فإن نقمتى
ستكون عظيمة ، سانتقم لهن منك فانزل بك العذاب .

هذا ما قالته ايزيس .. وقد عولت منذ تلك الليلة على الذهاب الى
مصر ، ولكننى خفت عليكن ، وخشيت أن يلحق بكن أذى فامرت بحبسكن
فى هذا القصر .

هذا هو السر الذى باح به نبرون ، والذى أثار عند الفتيات الصائحات
الضحك والسخرية ، فتجرات سيرابا وقالت :

- أمن أجل المحافظة علينا ، تأمر بحبسنا ؟ .. أمن أجل تحقيق
الرغبة التى أفضت بها اليك ايزيس المعبودة ، تسيء الى ابنة الكاهن الذى
كان يخدم فى هياكلها ، والذى قتله جنود روما بالاسكندرية ، والى رفيقاتها
المصريات اللواتى نزلن فى ضيافتك مدة ثلاثة أعوام كاملة ؟

- أردت أن أصون حياتكن من الأذى .

- فالحقت بنا الأذى كله ، وحرمتنا من حريتنا .

- ماذا تطلبن الآن ؟

- الخروج من هذا القصر .

- سأمسح لكن بالخروج .

- والعودة الى بلادنا .

- لا .. ستعودين الى مصر ، وستعود اخواتك أيضا .. ولكن فى
رفقتى أنا ، عندما يتيسر لى السفر تحقيقا لرغبة ايزيس .

- لن نبقى يوما واحدا هنا برغم ارادتنا .

- ولكنها ارادتى أنا !

- ارادتك لا يحسب لها حساب بالنسبة الينا .

وصاح نبرون صيحة كزثير الأسد ، ووثب رافعا قيثارته ليضرب بها
المصرية التى تجرات ورفعت صوتها فى وجهه وخاطبته بتلك اللهجة ولكنه
تراجع فجأة ، وقد تذكر ما قالته له ايزيس يوم خاطبته وأوصته بأن يحافظ
على المصريات ويدفع عنهن كل أذى .

خاف الوحش ان يضرب ضربته ، فتحل به فيما بعد لعنة ايزيس
وتنزل عليه ضرباتها .

وركع نيرون مرة أخرى هادئا متوسلا ، ووقف رفاقه من الرجال والنساء مبهوتين! .

وراح يعرض على سيرابا أن يهب لها قصرا على أحد تلال روما لتقيم فيه مع رفيقاتها على شرط ألا يخرجن منه، فرفضت وعرض عليها البقاء في قصره على شرط ألا تتعدى بابه الخارجى مع رفيقاتها فرفضت. وعرض عليها الخروج معهن الى حيث تشاء على شرط ألا يفادرن مدينة روما والا يسرن في طرقاتها الا برفقة الحراس والجنود ، فرفضت .

وغضب نيرون وانصرف .

وعاودت سيرابا ورفيقاتها الاعتصام في احدى القاعات والاضراب عن تناول الطعام .

ومر يوم ثامن ، ويوم تاسع ، ويوم عاشر .

وبلغ الاعياء مبلغه من الصائمات العنيدات . . . وذهبت كل التوسلات. سدى ، فلم يصغين لنصائح الناصحين ، ولا لرجاء الراجين ، ولا لوعيد المتوعدين !

وكانت سيرابا تقول لكل من جاء يخاطبها طالبا منها الكف عن الاضراب :

— لن تكف عنه الا اذا تقرررت عودتنا الى وطننا . والا فاننا سنموت. من الجوع هنا ، وتحل بالطاغية نعمة الربة ايزيس ، التى ستنقم لنا منه تنفيذ لما قالت يوم ترات له على شرفة القصر .

وخاف نيرون أن يحدث ماحدثت به الفتاة المصرية ، واستولت عليه الحيرة امام الحملان التى تنمرت .

وأدركت سيرابا ما يدور في خلد نيرون ، وما يتلاطم في صدره من مخاوف ، فعولت على استغلال الظروف واغتنام الفرصة ، وتحطيم السلاسل الذهبية التى قيد بها الطاغية حريتها وحرية صويحياتها ، والانطلاق من ذلك السجن البراق الى جو لاتحده جدران ولا تسد منافذه أبواب .

وهن نيرون امام ذلك العناد ، واقتنع بان الوسيلة الوحيدة لتجنيب غضب ايزيس ، والوقاية من انتقامها ، هى صيانة أولئك الفتيات والمحافظة على سلامتهن ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا باعادة حريتهن اليهن ، وإعادتهن الى وطنهن ، على أن يلحق الامبراطور بهن فى اقرب فرصة ، لكى تتحقق الرؤيا . . .

ووضع نيرون سفينة تحت تصرف الصائمات ، فنقلن اليها ، ولم يذقن طعاما الا بعد أن أقلعت السفينة بهن الى الاسكندرية ، وكان عليها حراس واطباء وخدم وعبيد ظلوا جميعا فى مصر تحت تصرف سيرابا واختها والفتيات الأخريات ، اللواتى قطع نيرون عهدا على نفسه بأن ينفق عليهن من بيت المال ، وان يوافيهن فى مصر عندما يستطيع الى السفر سميلا !

واستعادت الفقييات حريتهن ، وعشن في هناء وسعادة في ارض
وطنهن ، وتمتحن بضعة أعوام بما كان نيرون يقدقه عليهن من عطاء سخى
"لا يقب عند حد"

ومرت أعوام أخرى ، ونيرون لم يستطع السفر لتحقيق رغبة
إيزيس *

وفي يوم ما بلغه خبر من الاسكندرية سبب له الحزن وبعث في
نفسه الخوف : فقد حمل اليه رسول من الحاكم الروماني نبأ مصرع "سيرابا"
ابنة الكاهن زرتاسن بيد جندي روماني ، مثل أبيها في أحد شوارع
الاسكندرية *

وقد سلم القاتل الى الشعب فقتله وألقى جثته في البحر *

ووجم نيرون *

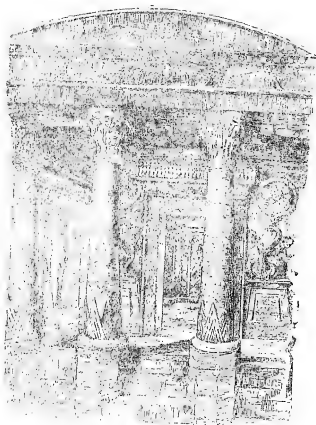
لقد أصيبت سيرابا بأذى قبل أن يتمكن الامبراطور من القيام برحلته
الى مصر ، نزولا على ارادة إيزيس *

فهل تتحقق الرؤيا !

لقد تحققت .. فبعد اسبوع واحد من وصول الخبر الى روما ، سقط
قيصر قتيلا بخناجر المتآمرين * وكان ذلك في سنة ٦٨ للميلاد ، وكان
نيرون في الحادية والثلاثين من العمر ، قضى منها أربعة عشر عاما على عرش
الامبراطورية *

التنكيّت القاتِلُ

إذا كان التنكيّت يروح عن النفس ويدخل
إليها السرور ويعملها على المرح ، فإنه قد يؤدي
أحيانا إلى عواقب وخيمة • وهذه قصة رجل
قتله التنكيّت من الضحك ! •



من آثار الاغريق والرومان بالاسكندرية

التفتت أونيسيا الحسناء الى زبانية قيصر الذين كانوا يسوقونها امامهم ، مع رفيقها هليوس ، وسألتهم :

— ظننت انكم تقودوننا الى السجن ، فاذا بكم تدخلوننا قصرا يحاكي قصور الامبراطور في روما ، وقصور البطالسة في الاسكندرية .

فاجابها احدهم :

— انك سمجينة القائد فاتينيوس ابنتها الحسناء ، وقد اراد الامبراطور تيبيريوس أن يكون السجن أهلا للسجين والسجان معا ، فأمر بارسالك الى هذا القصر الذي شيده في هذه الجزيرة لقضاء وقت الراحة والسرور فيه .

وذهب الجنود بالفتاة ورفيقها القزم هليوس ، الى الجناح الذي أعد لهما في ذلك القصر ، القائم فوق صخر شاهق الارتفاع ، يشرف على البحر وعلى مناظر جزيرة كابرى الساحرة .

شيد الامبراطور تيبيريوس ذلك القصر وجعله مسرحا للمذاذ فكان يقضى فيه الايام والليالي ، بين لفيف من أصدقائه ورفاقه ، وعشرات من الغيد الحسان ، اللواتي يحملهن اليه رسله وقواده من أطراف الامبراطورية الواسعة .

وعندما استولى عليه الضجر وانتابه الملل من السلطة والصولجان ، هجر روما وضجيجها ، وترك مقاليد الحكم أمانة في أيدي أعوانه ، وانصرف الى الانغماس في غمرة الممذات ، في قصر كابرى حيث قضى السنوات الخمس الأخيرة من سني ملكه . وقد وقعت الحادثة التي نحن في صدها في بحر هذه السنوات الخمس .

جلس تيبيريوس كلوديوس نيرو على عرش روما من سنة ١٤ الى سنة ٣٧ بعد الميلاد . وتوفى في ١٦ من مارس من تلك السنة في جزيرة كابرى الجميلة .

وكانت مصر في عهده ولاية رومانية . ضمها الامبراطور أوغسطس الى املاك روما بعد موت كليوباترة . وكان تيبيريوس في حكمه وإدارة شئون ممتلكات عرشه على جانب من العدالة والانصاف . فقد بلغه مرة أن حاكم مصر اميليوس ريكتوس يضطهد السكان ويرهقهم ويطاردهم لجباية الأموال والضرائب منهم ، فكتب اليه يقول :

— « أريد منك أن تجز صوف القطيع فقط لا أن تسلخ جلده ! » وفي هذا الأمر ما فيه من الاعتدال ، اذا قسناه بأساليب الحكم في ذلك العصر .

وكان أشهر حكام مصر الرومانيين في ظل تيبريوس القائد كايوس
غاليوس ، الذى ظل يدير شئون البلاد باسم الامبراطور من سنة ١٦ الى
سنة ٢١ بعد الميلاد .

وقد غضب عليه تيبريوس فاراد الحاكم أن يسترضيه فأرسل اليه
الهدايا النفيسة وسربا من النساء والعبيد والحيوانات النادرة ، ولكن
ذلك لم ينقذه من غضب سيده . فقد أصدر تيبريوس أمره الى رجال
حاشيته بأن يؤزعو الهدايا والنساء والعبيد والحيوانات على من يرغب
فيها من رفاقه في المسرات . فكان له ماأراد .

وكانت الفتاة «اونيسيا» والغرم «هليوس» من نصيب القائد «فاتينيوس»
أقرب المقربين الى الامبراطور وأكثر الرومانيين أنصرافا الى عبادة الشهوات،
وأبعدهم قبحا فى خلقه وخلقه !

مرت ثلاث سنوات على المصرية الحسنة فى كنف ذلك الرومانى
الماجن ، ذاقته فى خلالها العذاب أشكالا وألوانا ، وعرفت الآلام النفسية
المبرحة التى لا يشعر بها الا كل من فقد أهله وحرته وبلاده .

وفى ذات يوم جلست اونيسيا على مقعد وثير ، فى قصر سيدها ،
وأرسلت فى طلب هليوس ، ودار بين الاثنين حديث ذو شجون ، عن مصر
وبحرها ونهرها وسهولها ومعابدها وأهلها ومحاسن الحياة فيها .

— هليوس ، اننى أجعل مابقى لى من العمر لقضاء يوم واحد فى
الاسكندرية . ما السبيل الى الخلاص من هذه الحالة التى نحن فيها ؟

خفى عنك ياسيدتى . انك لاتزالين فى ميعة الصبا . وانك لميلدة
ساحرة . نعم لقد كان جمالك اليارع سببا لشغائك فوقعت فى مخالب
فاتينيوس الثقيل السكير السميع . وقد ينقذك جمالك من مخالبه كما دفع
بك اليها . وتقى اننى لن أذوق الراحة قبل أن أطمئن الى راحتك أنت .
فلست أنا غير قزم مهرج حقير . وليست حياتى بشئ يذكر بالنسبة الى
حياتك أنت . فان جلدك كان حاكم القصر فى عهد كليوباترة وكان أبوك
من كبار الاغنياء فى الاسكندرية . ولو لم يضرب بسيفه ضابطا رومانيا
حاول الاعتداء على امرأة مصرية من بنات الشعب ، ماقيض عليه الرومانيون
واعادهموه ، وما وقعت انت سبية أسيرة بين أيديهم . وانه لمن حسن حظى
أنا ، ان كنت مثلك من نصيب فاتينيوس ، لكى أظل بالقرب منك ، أقوم
بخدمتك ، وأضحك الرجل ومنعويه بتهريجى ونوادى وتنكتى .

— حقا انك تخفف كثيرا من جيل هذه الحياة عن منكبى ياهليوس
ولولاك ما استطعت احتمال ألمى وعذابى . لقد سماك الناس هليوس
تحقيرا منهم ، اذ أن اسم «الشمس» هذا لاينطبق على جسمك الهزيل
ورأسك الضخم وعينيك الغائرتين وظهرك المقوس . ولكنه اسم ينطبق على
روحك العالية وشعورك الفياض وقلبك الابيض — ياعزيزى ، يابن بلدى
ياهليوس !

- لقد أخطأت أُمي بأونيسيا عندما شتمت فاتيبيوس وطرده من حجرتك . وقد علمت اليوم أنه أمر بارسالنا نحن الاثنين إلى السجن، ومن يسرى إلى أي سجن ؟

- انتى لأخاف السجن ياهليوس، فهو أحب إلى من قصر فاتيبيوس هذا . وقد عذمت على أمر ولا أخفى عنك عزمى ، أنت يا صديقى الوحيد .

- وعلى أي أمر عذمت يا صديقتى ؟

- لابد أن يأتى فاتيبيوس إلى السجن لرؤيتى ، فهو يحبنى بقدر ما أكرهه وإذا ما جاء ..

- إذا ما جاء ؟

- أما أن أقتله ، وإما أن يقتلنى .

لكن أونيسيا وهليوس لم يلقيا فى أعماق سجن من سجون روما المظلمة بل أن الجنود ساقوهما إلى قصر الامبراطور تيبيريوس فى جزيرة كابرى .

كان فاتيبيوس قد دعى مع لغيف من رفاقى المسرات إلى قضاء أيام فى ذلك القصر ، وإرسل الامبراطور يقول لهم مع حامل الدعوة : « على كل منكم أن يأخذ معه المرأة التى يريد » والى على فاتيبيوس بأن يأخذ معه القزم المهرج المصرى ، لكى يضحك للمسعورين بنوادره وحر كانه وتنكيته .

وبدل أن ينفذ فاتيبيوس تهديده بسجن أونيسيا ورفيقها هليوس ، أرسلهما فى حراسة الجند إلى كابرى .

وعندما استقر بهما المقام فى القصر الشاهق المشرف على البحر ، قال هليوس لصديقه :

- أونيسيا . لقد فكرت فيما كنت تقولينه لى قبل مجيئنا إلى هنا . من عزمك على الفتك بالرجل الذى يعذبك . فاصغى إلى واعلى بأشارتى عندما يعقد القوم مجلسهم لالتهام الطعام والاكثار من الشرب وغير ذلك مما ينصرفون إليه فى مثل هذه المجالس ، كوني فرحة مرحة ، وكلى واشربى واضحكى . نعم ، اضحكى كثيرا واحملى فاتيبيوس على الاكثار مثلك من الضحك ، ودعبنى انفذ الخطة التى رسمتها ، لانتى سأنقذك من أيدي هذا الرجل بدون أن تعرضى حياتك للخطر !

- كيف ذلك ؟

- انه سريع التأثير يغرق فى الضحك كلما اتحفته بناديرة من نوادى وأذكر أن الطبيب فتيلبيوس قال لى يوما : « رويدك ياهليوس . ان سيدك ضخم الجسم كثير الشحم ضعيف القلب . فاذا ما أكثر من الضحك ، يعد للاكثار من الأكل والشرب ، فإن حياته ستكون فى خطر » .

- فهمت . فهمت .

سيدتي .. ان هؤلاء الرومانيين يقولون لنا نحن المصريين بأنفسنا
سريعو الخاطر نحسن التنكيت . وسوف يكون التنكيت المصرى مفيداً لنا
فى هذه المرة ، فيعيد الطمأنينة الى نفسك ، وقد يعيد اليك الحرية .



بعد يومين ، وصل تيبيريوس الى كابرى ، ومعه المدعوون الذين وقع
عليهم اختياره ، وعددهم لايتجاوز أصابع اليدين ، وبينهم فاتيئوس
بقامته القصيرة وبطنه المندلق وشعره الاحمر ووجهه المنقوش بالجذام
وظلمته الدائم الى الملاذ .

ومند وصولهم الى القصر، بدأ رفاق قيصر يستعدون للمآذب والسهر
فذبح الخدم الذبائح . وأوقدوا النيران فى المطابخ . وأعدوا لقيصر
وصحبه المقاعد والأسرة والموائد على شرفة القصر الكبرى ، أمام الصخرة
التي أطلقوا عليها اسم « صخرة الموت » لأن تيبيريوس كان يأمر جنده بأن
يلقوا من فوقها فى البحر كل من حلت به النعمة القيصرية .

كان ذلك فى صيف سنة ٢٤ بعد الميلاد ، وكان نسيم البحر يداعب
أفنان الأشجار فى حديقة القصر الغناء ، ويحمل الى أرجاء القصر نفحات
من عبير الأزهار والرياحين . ثم طلع القمر فأغلق أشعته الفضية بسخاء
على ذلك المنظر البديع .

ودبت الحياة شيئاً فشيئاً فى الشرفة الغسيحة ، وارتفعت الأصوات
بالتفاف والناشيد عندما أطل قيصر على مدعويه ، ثم اختلط بهم وجلس
بينهم على سريره الأرجوانى .

ودعيت النساء فأقبلن واحدة واحدة ، وكل منهن تحاكي البسدر
جمالا والحدود سحرا ، وبينهن الرومانية والغالية والمصرية والسورية
والفنيقية والافريقية والافريقية . فكان الامبراطور أراد أن تجتمع فى
تلك الليلة ، فى قصره ، جميع الاقطار الخاضعة لصولجانه ، المؤتمرة بأمر
روما ، فى اشخاص ابرع نسائها حسنا ودلالا .

وذاكر الساقون بالكثوس والأقذاح ، وغاص الأكلون الى أكواعهم فى
اللحوم المكسدة على الأطباق، الفارقة فى بحر من الشحم والسمن . وجعلت
النساء ينثرن الورد والياسمين على رموس الرجال . ودعى العبيد الى
مضمار للمصارعة فتمسكوا أزواجا ، وأمر قيصر بأن يعتق الغالبون منهم
ويصحبوا أحرارا ، وبأن يلقي المغلوبون الى البحر من أعلى صخرة الموت !

ولعبت الخمر بالرموس ، وهاجت الشهوات فى النفوس . فاستحال
الامبراطور ومدعووه الى مخلوقات ليس بينها وبين البهائم فارق .

وصاح فاتيئوس :

- أين اونيسيا .. الى يا اونيسيا .. فقسد عفوت عنك اكراما
لقيصر !

وصاح تيبيريوس :

— إما قلت لك يافاتيبيوس انك لن تقوى على فراقها • لقد أحضنت
صنعا في اختيار هذا المكان سجننا لها !

وأسرعت أونيسييا إلى الرجل وطوقت عنقه ببنراعيها ، وتمتمت في
فؤاده :

— أحبك يافاتيبيوس !

فنهض الروماني كالثور الهائج ، يتمايل يمينا ويسارا ، وأرسل
نقى أرجاء المكان صيحة ذكرت أولئك القواد بصراخ الوحوش الكاسرة في
ملاعب روما :

— أسمعتم ؟ أسمعتم ؟ قالت انها تجبنى !

فكررت أونيسييا الكلمة الساحرة :

— أحبك ! نعم •• أحبك !

ثم همست قائلة :

ألا تريد أن يسمعك هليوس طائفة من نوادر الليلة ؟ انه في
انتظار •••

ولكن فاتيبيوس لم يدعها تتم كلامها ، بل صاح موجهها كلامه الى
الامبراطور :

— قيصر ! سنضحك الليلة كثيرا • فان القزم المصري لعلى استعداد
للتهريج والتكتيك •

ورددت جوانب القصر ودهاليزه وشرفاته صوتا واحدا كالصدى ،
أرسلته تلك الصدور دفعة واحدة :

— هليوس ! هليوس ! هليوس !

دخل هليوس وبيده افعى صغيرة الحجم ، وقد التفت على ذراعه ••
وعلى رأسه غطاء صنع على صورة الهرم • وقد ارتدى ثوبا مصريا زاهي
الألوان ••

وقال قيصر :

— أضحكنا ياهليوس !

وردد الجميع أيضا :

— أضحكنا ياهليوس !

فانطلق المصري القزم بين الموائد ، يصعد فوقها أو يمر تحتها ••
يداعب رأس هذا ويدغدغ بطن ذاك من المدعوين ، والنوادر تتدفق من فمه
كالسيل ، فلا ينتهي القوم من الضحك لنادرة حتى يلحقها القزم بغيرها ،
والمدعوون يستلقون على ظهورهم الواحد بعد الآخر •

وكان هليوس يكثر من التهريج ويبذل في التنكيت كلما وصل أمام فاتيبيوس ، على حين أن أونيسيا تصب الحمر في كأس الرجل وتسقيه بلا انقطاع ، ثم تقهقه في وجهه وتردد :

— اضحك ! اضحك أيها الحبيب فستنام الليلة الذ نومة عرفتها !
وكان فاتيبيوس يضحك ...

وقفة بينما كان الرجل غارقا في ضحكة أشد من سابقاتها ، وقد احمر وجهه ، وانتابته رعشة لم يعد قادرا معها على رفع كأسه بيده صاح هليوس قائلا :

— أتريدون أن تروا كيف ماتت الملكة كليوباترة حبيبة انطونيوس ، من لسعة الحية .

فأجاب الجميع :

نعم .. نعم ...

وصرخ المصري قائلا ، وقد رفع الأفعى فوق رأسه وتظاهر بالوثوب على فاتيبيوس :

— هكذا ... هكذا ... فماتت ..

ولكن صرخة انبعثت من صدر فاتيبيوس ، وسقط الرجل على الأرض لاهراك فيه .

وأحاط به الخدم والعبيد ، وحملته النسساء بين أيديهن ، والتفت المدعوون بعضهم إلى بعض ، متسائلين مستفهمين ..

ونهضت أونيسيا من مكانها ، وقالت بصوت متهدج :

— قيصر ! لقد مات صديقك وحبيبي فاتيبيوس !

وساد سكوت رهيب .

لكنه كان قصيرا ..

فقد عز على تييريوس قيصر أن ينفص عليه حيث — أيا كانت صلته به — لذة تلك الليلة الساهرة والمأدبة الفاخرة ، فرفع يده وأصدر أمره :

— انقلوا جثة فاتيبيوس المسكين إلى الحجرة التي كانت معدة لنومه ولينقل غدا إلى روما لدفنه فيها .

ثم خاطب الحسناء المصرية قائلا :

— أما أنت يا امرأة ، فإن بقاءك بيننا سيدكرنا دائما بصديق وفي ورفيق أمين . ولا أريد بك شرا لأنه كان يحبك ولأنك كنت تحبينه ..
فاخرجي ! وغدا ستبحرين في مركب من مراكبى الخاصة إلى بلادك ومعك هذا القزم الذى كان تهريجه وتنكيته الليلة سببا لموت فاتيبيوس .

وعاد قيصر إلى الجلوس على سريره ، وقال :

— أيها الرفاق ! لم يحدث الليلة ما يمنعنا من الاستمرار في الأكل والشرب والملاذ .

وفي اليوم التالي أقلمت من ثغر كابري سفينتان :

سفينة تحمل جثة فاتينيوس الى روما .

وأخرى تحمل أونيسيا ورفيقها القزم هليوس ، الذي بر بوعده فأنقذها من الأسر ، وخلصها من سجانها ، وأعاد اليها حريتها ، ورجع بها الى وطنها الاسكندرية دون أن يعمد في ذلك كله الى سلاح غير سلاح التنكيث المزوج بالتهريج .

صَدِيقَةُ الشَّهَادَةِ

تمردت الحسناء على أبيها ، وتسكت بعقيدتها
واخلصت لأصدقائها، فختفها أبوها الروماني بيده



عمود ديوكليسيانوس بالاسكندرية ، سمى خطأ عمود
« بومبيوس » ويعرفه السكان باسم « عمود السواري »

دفع الى العالم الفاصل بضع ورقات مضمونة في كراسة من الكرتون.
ومكتوبة بلغة فرنسية عقيمة وقال :

— هذه ترجمة مخطوط يبدو أن أصله مكتوب باللغة اليونانية القديمة ، كما يبدو أيضا أن الأصل كان ناقصا أو مشوها أو غير واضح المعالم ، لأن الترجمة متقطعة ، فيها بعض الابهام والغموض ، ولكن موضوعها على كل حال يستحق الاهتمام . فهل لك أن تنقلها الى العربية ؟

وأنا أقدم للقاريه فيما يلي ترجمة تلك الترجمة الفرنسية للمخطوط اليوناني .

جاء في ترجمة المخطوط القديم :

« كان «بوروس» يحكم الاسكندرية باسم الامبراطور «ديوكلسيانوس قيصر» بنفد رغبته ، بهمة ونشاط المتزلفين الذين لا يانفون من ارتكاب الجرائم ارضاء لسادتهم .

« وكانت لبوروس ابنة وحيدة تدعى (بولا) لم تتزوج بالرغم من أن السن تقدمت بها أكثر مما كان الرومانيون ينتظرون لكي يزوجوا بناتهم . وعيضا حاول بوروس أن يجد لها بين ضباط الجيش الروماني بالاسكندرية زوجا ترضى به .

« وكانت بولا تنظم الشعر وتعزف على القيثارة وتغنى بصوت شجي الاناشيد التي تنظم ابياتها بنفسها . وكانت تنفر من عشرة الناس ولا تتصل إلا بعدد قليل من الأشخاص الذين لا يعرف أبوها عنم غير أنهم من المصريين البارعين في حياكة الملابس وصنع الأدوات الخوصية .

« ويرجع عطف ديوكلسيانوس على بوروس الى عهد ثورة اخيليوس بالاسكندرية ، فقد أعلن اخيليوس العصيان ، وكان حاكما لمصر كلها وأرسل ديوكلسيانوس حملة قوية لاختاد الثورة ، فكان بوروس واحدا من السكان الذين ساعدوا على الفتك باخيليوس وأنصاره .

« ولما أطلق ديو كلسيانوس أيلتى جنوده في نهب المدينة وسلبها وحرق بيوتها كان بوروس أيضا واحدا ممن عاد عليهم ذلك بغوائد كثيرة . وأصبح الرجل من كبار اغنياء الاسكندرية .

« وكافاه ديوكلسيانوس فيما بعد بتعيينه في مناصب رفيعة ، حتى وصل الى منصب حاكم الاسكندرية »

أتوقف هنا عن النقل لأقول على سبيل الايضاح :

جلس ديوكلسيانوس على عرش روما فى سنة ٢٨٤ للميلاد واصله جندى بسيط رفعته الأقدار والمواهب على السواء الى أعلى منصب فى الامبراطورية .

ونار عليه اخيليوس فى مصر وأعلن نفسه فيها ملكا ، ثم غلب على امره سنة ٢٠٢ وفى عهد ديوكلسيانوس كانت المسيحية تغزو النفوس فى الشرق والغرب على السواء فانصرف الامبراطور الى اضطهاد المسيحيين ، وظل بضطهدهم بضعة أعوام حتى أفنى منهم آلافا وآلاف فى مختلف أنحاء الامبراطورية وفى مصر على الخصوص .

وقد أشتد اضطهاد ديوكلسيانوس للدين الجديد من سنة ٣٠٣ الى سنة ٣٠٥ ، وهى التى تنازل فيها عن العرش ، وعاش فى عزلة تامة ببلدته «ساليوني» بإيطاليا حيث أنصرف الى العناية بحديقته .

وفى الاسكندرية عمود أقيم فيها لتخليد ذكرى ديوكلسيانوس ، أقامه أحد حكام المدينة ، وسماه المؤرخون «عمود بومبيوس» لانهم قرءوا بين ماتبقى من الكتابة المحفورة عليه حرفى « ب ، و » فاعتقدوا أن القائد الرومانى بومبيوس ، الذى هرب الى مصر فى عهد كليوباترة ، هو الذى أقامه بالمدينة ، ولكن بومبيوس لم يفعل شيئا من هذا ولم يترك بالاسكندرية أثرا .

ويعرف أهل البلد هذا العمود باسم «عمود السوارى» .

ولنعد الآن الى ترجمة المخطوط :

« كان بوروس عونا لديوكلسيانوس فى اخماد ثورة اخيليوس . وكان له فيما بعد عونا فى تشريد اتباع المسيح والفتك بهم ووضع حد لانضمام الناس الى حظيرة الدين الذى يبشر به رؤسائهم .

« ولما أمر الامبراطور جنوده بذبح النصارى المصريين واليونانيين على السواء فى مدينة الاسكندر ، كان بوروس يشغل منصب الحاكم ، فوجد الفرصة سانحة لظهار ولائه لقيصر مرة أخرى ، كما أظهره من قبل يوم اشترك فى اخماد ثورة اخيليوس ، التى كان الغرض منها استقلال مصر عن الامبراطورية الرومانية .

« وكان ديوكلسيانوس يخشى أن يفعل النصارى فى الاسكندرية ماكان اخيليوس ينوى أن يفعله يوم أعلن العصيان على روما : أى ان يستقلوا عن سيدة العالم فى ذلك الوقت ، ويجعلوا من مصر دولة لاتعترف بسلطان روما ، كما حدث من قبل .

« وأرسل الامبراطور الى عملائه ومن بينهم بوروس ، يقول : اذبحوهم عن آخرهم ولا تتركوا منهم رجلا أو امرأة أو شابا أو رضيعا على قيد الحياة . واهدموا أماكن العبادة التى يختلفون اليها ، وأحرقوا بيوتهم كي لا يبقى منهم أثر بعد اليوم .

« ونفذ العلماء والحكام والزبانية أوامر قيصر ، فسالت الدماء فى شوارع الاسكندرية ، وتحولت أرضها الى مقبرة .

« ولم يقاوم المسيحيون ولم يقابلوا القوة بالقوة والعنف بالعنف لانهم كانوا اضعف من أن يستطيعوا المقاومة ، ولم يكن لديهم سلاح يقابلون به سلاح جلاديهم .

« وحاصر الجند فريقا منهم في المكان الذي نصب فيه بوروس » عمود الخلد « تزلعا لقيصر . ومن سخريه الزمن أن يمر الحاكم في آن واحد أمام عموده ، ويرى جنوده وهم يضربون الهاربين ويجمعونهم حول العمود ليذبوهم كما ذبحوا غيرهم .

« وكانت مفاجأة وقف الجنود امامها مذهولين حائرين ، عندما اقتحمت الصفوف امرأة على وجهها خمار . واتجهت الى بوروس ، ووقفت أمامه ورفعت الخمار عن وجهها ، فإذا هي ابنته بولا ، التي كانت تدين بالمسيحية سرا وتخفي أمرها عن أبيها، وتمارس دينها مع رفاقها ورفيقاتها في داخل دار الحاكم ، حيث حولت إحدى الحجرات الى معبد للصلاة .

« وأرادت الفتاة أن تشفع للهاربين كي لا يقتلهم الجند . ولكن بوروس لم يجرؤ على اصدار أمره بالعفو عنهم أكراما لابنته ، وسمع الجنود يقولون له : اذا كانت أبنتك من أتباع الدين الجديد فلا بد أن تموت مع الآخرين !

« وأشار بوروس الى الجند بأن يتريثوا ، واقترب من ابنته ، وخاطبها على مسمع من الناس قائلا لها أن تجاهر أمام الجمع المحتشد هناك بأنها ليست مسيحية ، وأنها باقية على ولائها لآلهة روما ، ولا علاقة لها بأولئك النصراني غير علاقة الصداقة مع بعض منهم .

« ولكن الفتاة صاحب قائلة لأبيها ولمن حولها من الناس، انها صديقة الذين يدينون بالدين الجديد لانها هي أيضا تدين به ، وأنها صديقة الشهداء الذين ذبحهم الجند في أنحاء المدينة وتود لولحقت بهم فاستشهدت مثلهم في سبيل عقيدتها .

« وفار فائر الحاكم لسماعه هذه الكلمات تنطلق من فم ابنته الوحيدة الحبيبة ، فوثب عليها ، وقبض بيديه على عنقها ، وصاح بها قائلا انه يأمرها بأن تجحد بذلك الدين في الحال ، والا فانه يخنقها بيده كي لا تلحق به وبأسرته عار الخروج على ارادة قيصر ودين الامبراطورية .

« فكان جواب الفتاة انها لن تجحد بدينها وانها تتقبل الموت من يده ابيها في سبيل ربها !

« وخنق بوروس ابنته ، وصاح بالجند قائلا لهم أن يذبحوا ذلك القطيع ويحولوا ميدان العمود الى مقبرة تكون جثة ابنته أول جثة تلقى فيها ، وتعلقت به الانظار وهو يغطي وجهه بطرف رداءه ويبعد على ظهر جواده

« وفي ذلك المكان ، حول قاعدة العمود ، ذبح الجند مائة رجل وامرأة أو أكثر ، واختلطت جثثهم في حفرة حفرها القتلة في الميدان ، ومن بينها جثة يولا ابنة بوروس . »



هذا ما جاء في الوريقات التي سيطرت عليها ترجمة المخطوط اليوناني فنقلتها كما هي محاولا قدر المستطاع أن أزيل عنها الإيهام والغموض ...

ويبدو أن الذي كتبها كان معاصرا لذلك العهد : أو أنه كان سمع القصة ممن عاصر مذابح الاسكندرية .

فهل عمود السواري ، أو عمود بومبيوس ، هو عمود الخلد الذي نصبه بوروس قاتل ابنته يولا ، التي أبت إلا أن تظل وفية لاصدقائها حريصة على أن يكون مصيرها كمصيرهم ، أمينة على الدين الذي اعتنقته فحل في قلبها محل عبادة الاصنام ، والولاء لآلهة تقرر سفك الدماء ؟

وهل حرفا « ب و » اللذان جعللا العلماء والباحثين يعتقدون أن « بومبيوس » هو ناصب ذلك العمود بالاسكندرية ، هما الحرفان الاول والثاني من اسم « بوروس » الحاكم المتزلف والاب القاتل ؟

(تم الكتاب)

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٣
تصدير	٥
طيف نيشوكريس	٧
سفينة فرعون	١٥
رسول فرعون	٢٣
الجميلة أتت	٢٣
سرويا اخناتون	٢٩
نفرتيتى ، أرملة الزوجين	٤٥
سيتى واليتيمة الحسنة	٥٣
عرانس النيل	٥٩
نحن السابقون	٦٧
فرعون ويهوذا	٧٥
قاهر الوحوش	٨٣
جواهر بطليموس	٨٩
القميص الابيض	٩٧
مصيف المجعين.	١٠٣
معتوقة كليوباترة	١١١
عاشقة الامواج	١٢١
ذات القلبين	١٢٧
المصريات الصائحات	١٣٥
التنكيث القاتل	١٤٣
صديقة الشهداء	١٥٣



١٥٧ شارع عيبد - روض الفرج
٤٠٨٨ - ٤٠٨١٤
تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع متيق - مدخل الغرب

٤١٠١٤ / ٤٠٧٥٣ } للغير
٤٠٨١٤ / ٤٠٥٨٨ }

Bibliotheca Alexandrina



0254283

٢٠١٦